



محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان

الإمام الصادق عليه السلام
والتنظير للتنمية البشرية

محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان





هوية الكتاب

اسم الكتاب: ...... الإمام الصادق عليه السلام والتنظير للتنمية البشرية

اسم المؤلف: ....محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان

الطبعة : .... الثالثة

السنة : ١٤٣٦هـ-٢٠١٤م

المطبعة: .... الكلمة الطيبة - النجف الاشرف/ العراق

الناشر : .... دار البذرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأمين محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد.. فإنَّ الإمام الصادق عليه السلام (٨٣-١٤٨هـ)، هو سادس أئمة المسلمين، وثامن المعصومين، أدى(ما حُمِّل من أمر ربه: الابلاغِ في الموعظةِ، و الاجتهادِ في النصيحةِ، والإحياءِ للسُنَّة)[1]، فكان دوره كبيراً في توجيه الأمة وتثقيفها بما يضمن التزامَها الحق واجتنابَها الباطل، وقد مارَسَ هذه المَهمة المقدسة ما وَسِعَهُ ذلك، وواتته الفرصة زماناً ومكاناً؛ حتى(نقل الناسُ عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكرُهُ في البلدان، ولم يَنقل عن أحدٍ من أهل بيته العلماءُ، ما نُقل عنه، ولا لقي أحدٌ منهم من أهل الآثار ونقَلَة الأخبار، ولا نقلوا عنهم، كما نقلوا عن أبي

---

١ - نهج البلاغة - الشريف الرضي ١ /٢٠٢.

عبد الله" الصادق"عليه السلام ؛ فإنَّ أصحابَ الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات، على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل)[١]؛ الأمر الذي أسهم بشكل واضح في بث العلوم والمعارف، وبلورة كثير من صور التجديد، في عرض مفاهيم الإسلام الأصيلة، وحثِّ الناس على التمسك بها، مما ساعد على نشرها والتعريف بها، بما لم يتم لغيره عليه السلام .

وكان من جملة ما رووا عنه عليه السلام ، ما يندرج في محاور "التنمية البشرية"، وما هو من شئون "فن النجاح"، ولمّا كانت للتنمية البشرية أهميتها المعاصرة، وحضورها الجاذب، أضحى لزاماً تسليط أضواء البحث على دور الإمام الصادق عليه السلام في التنظير لها؛ وذلك لعدة أهداف:

منها: دراسة أبعاد جديدة في حياة المعصوم عليه السلام، والتعريف بها.

١- الإرشاد،الشيخ المفيد ١٧٩/٢.

ومنها: إطلاع الباحثين التنمويين المتخصصين على زوايا بحثية لموضوعة التنمية سوى تخصصاتهم.

ومنها: إشراك أكثر عدد ممكن من شرائح المجتمع في الإفادة من هذا المجال، وإطلاعهم على طرق معالجات المعصوم عليه السلام للقضايا، وتعاطيه معها، في ظل توقع بعضٍ حداثةَ الموضوعة، أو جِدّة المعالجة له، والحال أنَّه مما تناوله الإمام جعفر الصادق عليه السلام بما أُتيح له آنذاك، فأحاط بأبعادها النافعة المثمرة، وأوجد الحلول الجذرية لكثيرٍ من مشكلات الأجيال اللاحقة، فضلاً عن الحاضرة، ولم يكتفِ عليه السلام بمخاطبة جيله الحاضر، حتى تخطاه الى غيره، و لم يقف عند حدود المؤمن بإمامته، بل امتد بعطائه الى آخرين؛ كما ستوثقه ثنايا البحث، الذي يمثل ملامح للمشاركة المستمرة في بناء الأمة، والعمل الجاد على ازدهارها؛ بما ينفع حاضرها ومستقبلها، فيتعبد طريق التنمية معنوياً ومادياً، وتتلافى الأمةُ بعضَ ما فقدته جرّاء تعويلها المتزايد على مكاسب زائلة، وإهمالها لمنافع دائمة.

وسينعقد البحث بعد المقدمة في فصول ومباحث وخاتمة، و ما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

النجف الأشرف

١٣/المحرم الحرام/١٤٣٦هـ ٧/١١/٢٠١٤م

محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان

الفصل الأول

لمحات عن حياة الإمام الصادق عليه السلام

هو الإمام الصادق: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، خليفةُ أبيه...ووصيُّهُ والقائمُ بالإمامة من بعده، برَزَ على أخوته بالفضل، وكان أنبههُم ذكراً، وأعظمُهم قدراً، وأجلُّهم في العامة والخاصة .

كان له عليه السلام من الدلائل الواضحة في إمامته، ما بهرت القلوب، وأخرست المخالفَ عن الطعن فيها بالشبهات .

كان مولده عليه السلام بالمدينة سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، ومضى عليه السلام في شوال من سنة ثمان وأربعين ومائة، وله خمس وستون سنة، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وعمه الحسن عليه السلام[1] .

---

١ - ينظر: الإرشاد - الشيخ المفيد ٢ /١٧٩ – ١٨٠.

ومما ورَدَ من النصِّ على إمامته عليه السلام، هو ما رواه أبو الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ(قَالَ نَظَرَ أَبُو جَعْفَرٍ-الباقر- عليه السلام إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّه -الصادق- عليه السلام يَمْشِي، فَقَالَ: تَرَى هَذَا؟، هَذَا مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ : {ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ}[1]، وروى(أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ طَاهِرٍ قَالَ: كُنْتُ قَاعِداً عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ-الباقر- عليه السلام، فَأَقْبَلَ جَعْفَرٌ -الصادق- عليه السلام، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام هَذَا خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)[2].

(حدّثَ عن أبيه أبي جعفر الباقر، وعبيد الله بن أبي رافع، وعروة بن الزبير، وعطاء بن أبي رباح وروايته عنه في -صحيح- مسلم، و جده القاسم بن محمد، ونافع العمري، ومحمد بن

---

١ - الكافي- الشيخ الكليني ١ /٣٠٦ ح١،ط:٥ : دار الكتب الإسلامية – طهران:١٣٦٣ هـ ش .

٢ - المصدر نفسه ،ح٦.

المنكدر، والزهري، ومسلم بن أبي مريم وغيرهم، وليس هو بالمكثر إلا عن أبيه، و كانا من جلة علماء المدينة .

حدّثَ عنه ابنُهُ موسى الكاظم، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن عبد الله بن الهاد، وهما أكبر منه، وأبو حنيفة، وأبان بن تغلب، وابن جريج، ومعاوية ابن عمار الدهني، وابن إسحاق في طائفة من أقرانه، وسفيان، وشعبة، ومالك، وإسماعيل بن جعفر، ووهب بن خالد، وحاتم بن إسماعيل، وسليمان بن بلال، وسفيان بن عيينة، والحسن بن صالح، والحسن بن عياش أخو أبي بكر، وزهير بن محمد، وحفص بن غياث، وزيد بن حسن الأنماطي، وسعيد بن سفيان الأسلمي، وعبد الله بن ميمون، وعبد العزيز بن عمران الزهري، وعبد العزيز الدراوردي، وعبد الوهاب الثقفي، وعثمان بن فرقد، ومحمد بن ثابت البناني، ومحمد بن ميمون الزعفراني، ومسلم الزنجي، ويحيى القطان، وأبو عاصم النبيل، وآخرون .

ابن عقدة الحافظ، حدثنا جعفر بن محمد بن حسين بن حازم، حدثني إبراهيم بن محمد الرماني أبو نجيح، سمعت حسن بن زياد، سمعت أبا حنيفة، وسئل : مَنْ أفقه مَنْ رأيت ؟ قال : ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد؛ لمّا أقدمه المنصورُ الحيرةَ، بعث إليَّ فقال : يا أبا حنيفة إنَّ الناس قد فُتنوا بجعفر ابن محمد، فهيئ له من مسائلك الصعاب، فهيأتُ له أربعين مسألة، ثم أتيت أبا جعفر-المنصور-، وجعفر -الصادق- جالسٌ عن يمينه، فلما بصرت بهما، دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفر، فسلمت وأذن لي، فجلست، ثم التفتَ-المنصور- إلى جعفر، فقال : يا أبا عبد الله، تعرف هذا ؟ قال : نعم، هذا أبو حنيفة، ثم أتبعها : قد أتانا، ثم قال-المنصور-: يا أبا حنيفة، هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله، فابتدأتُ أسأله، فكان يقول في المسألة : أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة، وربما

خالفنا جميعاً، حتى أتيت على أربعين مسألة، ما أخرم[1] منها مسألةً.

ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا: أنَّ أعلمَ الناسِ، أعلمُهم باختلاف الناس ؟ !)[2].

(وأما مناقبه وصفاته، فتكاد تفوت عددَ الحاصرِ، ويحار في أنواعها فهمُ اليقظِ الباصرِ، حتى أن من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى، صارت الأحكام التي لا تُدرك عللها، والعلوم التي تقصر الأفهام عدد الإحاطة بحكمها، تضاف إليه وتروى عنه)[3] .

١ – ما أخرم:أي:ما نقّصتُ وماقطعتُ،الصحاح،الجوهري ٥/١٩١٠.
٢ – سير أعلام النبلاء – الذهبي ٦/ ٢٥٥ –٢٥٨، رقم ١١٧ ،ط٩:مؤسسة الرسالة/بيروت ١٤١٣هـ .
٣ – مطالب السؤول في مناقب آل الرسول – محمد بن طلحة الشافعي ٤٣٧،ونحوه في الفصول المهمة ، ابن الصباغ المالكي ٢/٩١٣،ط:دار الحديث/قم ١٤٢٢هـ.

ولذا (نقل الناسُ عنه من العلوم ما سارت به الركبانُ، وانتشر صيته وذِكرُه في سائر البلدان، ولم ينقُل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نُقل عنه من الحديث، وروى عنه جماعة من أعيان الأُمّة وأعلامهم)[١].

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في معرض بيانه لانتساب العلوم لأمير المؤمنين عليه السلام : (ومن العلوم : علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه؛ أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما، فأخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن، فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة، وأما أحمد بن حنبل، فقرأ على الشافعي فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام ، وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام ، وينتهي الأمر إلى علي عليه السلام ، وأما مالك بن أنس، فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس، وقرأ

١- الفصول المهمة- ابن الصباغ المالكي ٢ / ٩٠٨ .

عبد الله بن عباس على علي بن أبي طالب، وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة)[١] .

وقد روى ابن شهرآشوب(ت٥٨٨هـ)[٢]، ومحمد بن طلحة الشافعي (ت٦٥٢هـ)[٣]، وسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ) [٤]، وابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ)[٥]، والشبلنجي الشافعي (ت ١٢٩٨هـ)[٦]عدة حوادث جرت كالتي روى السيد ابن طاووس(ت٦٦٤هـ): بسنده عن(عبد الرحمن بن أبي نجران،

---

١ - شرح نهج البلاغة ١ / ١٨، دار إحياء الكتب العربية،ط:١ : ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.
٢ - ينظر:مناقب آل أبي طالب ٢٩٦/١١،المحققة،ط:المكتبة الحيدرية–قم ١٤٣٢هـ .
٣ - ينظر: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ٤٤٠ .
٤ - ينظر:تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة ٤٤٧/٢،ط:المجمع العالمي لأهل البيت ع، ١٤٢٦هـ .
٥ -ينظر:الصواعق المحرقة ٢٠١،ط:مكتبة القاهرة.
٦ - ينظر: نور الأبصار٩٠/٢،نشر:ذوي القربى قم.

قال: حدثني ياسر مولى الربيع، قال: سمعت الربيع يقول: لما حجَّ المنصور وصار بالمدينة سهر ليلة فدعاني فقال: يا ربيع انطلق في وقتك هذا على أخفض جناح وألين مسير فإن استطعت أن تكون وحدك فافعل حتى تأتي أبا عبد الله جعفر بن محمد فقل له هذا ابن عمك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن الدار وإن نأت، والحال وإن اختلفت، فإنا نرجع إلى رحم أمس من يمين بشمال...وهو يسألك المصير إليه في وقتك هذا ...قال الربيع: فصرتُ إلى بابه فوجدته في دار خلوته، فدخلت عليه من غير استئذانٍ، فوجدته معفراً خديه، مبتهلاً بظهر يديه، قد أثّر الترابُ في وجهه وخديه فأكبرتُ أن أقول شيئاً حتى فرغ من صلاته ودعائه، ثم انصرف بوجهه، فقلتُ: السلام عليك يا أبا عبد الله، فقال : وعليك السلام يا أخي ما جاء بك، فقلتُ: ابن عمك يقرأ عليك السلام ويقول: حتى بلغتُ آخرَ الكلام، فقال: ويحك يا ربيع {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ}، ويحك يا ربيع { أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ

يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَهُمْ نائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ}، فاقرأ وبلغ على أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته... قل له: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطى قَلِيلًا وَأَكْدى أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرى أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِما فِي صُحُفِ مُوسى وَإِبْراهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى} وإنّا واللهِ يا أمير المؤمنين قد خفناك وخافتْ لخوفنا النسوةُ اللاتي أنتَ أعلم بهن... فإن كففتَ وإلا أجرينا اسمكَ على الله عز وجل في كل يوم خمس مرات، ... قال الربيع فما استتم الكلام حتى أتت رسلُ المنصور تقفوا أثري وتعلم خبري فرجعت فأخبرته ما كان ...)[1].

كما قد (استدعاه المنصور مرة ثانية بعد عوده من مكة إلى المدينة؛ حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد النوفلي قال حدثني الربيعُ صاحبُ أبي جعفر المنصور قال: حججتُ مع أبي جعفر

---

١ - مهج الدعوات ١٧٥.

المنصور، فلما صرت في بعض الطريق، قال لي المنصور: يا ربيع إذا نزلت المدينة فاذكر لي جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، فو الله العظيم لا يقتله أحدٌ غيري، احذر أن تدع أن تذكّرني به .

قال: فلما صرنا إلى المدينة أنساني اللهُ عز وجل ذكرَهُ، قال: فلما صرنا إلى مكة، قال لي: يا ربيع ألم آمرك أن تذكّرني بجعفر بن محمد إذا دخلنا المدينة؟! قال فقلت: نسيت ذلك يا مولاي يا أمير المؤمنين، قال فقال لي: إذا رجعتُ إلى المدينة فاذكرني به، فلا بد من قتله، فإن لم تفعل لأضربنّ عنقَك، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، ثم قلتُ لغلماني وأصحابي اذكروني بجعفر بن محمد إذا دخلنا المدينة إن شاء الله تعالى، قال: فلم تزل غلماني وأصحابي يذكروني به في كل وقت ومنزل ندخله وننزل فيه حتى قدمنا المدينة، فلما نزلنا بها دخلتُ إلى المنصور فوقفت

بين يديه فقلت له: يا أمير المؤمنين جعفر بن محمد، قال: فضحك، وقال لي: نعم اذهب يا ربيع فأتني به ولا تأتني به إلا مسحوباً)[١].

وكذلك استدعاه ثالثةً(لما نزل أبو جعفر المنصور الربذة وجعفر بن محمد يومئذ بها، قال: مَنْ يعذرني من جعفر هذا...أما والله لأقتلنه، ثم التفت إلى إبراهيم بن جبلة فقال يا ابن جبلة: قم إليه فضع في عنقه ثيابه، ثم ائتني به سحباً، قال إبراهيم : فخرجتُ حتى أتيتُ منزلَهُ فلم أُصبه فطلبتُهُ في مسجد أبي ذر، فوجدتُهُ في باب المسجد، قال: فاستحييتُ أن أفعل ما أُمرتُ فأخذتُ بكمه، فقلتُ له: أجبْ أمير المؤمنين، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون دعني حتى أصلي ركعتين...)[٢].

وقد تكررت مرات الاستدعاء والاستحضار، حتى بلغت سبعاً [٣] .

---

١ - المصدر نفسه ١٨٤.

٢ - المصدر نفسه ١٨٧،ونحوه روى الأربلي في كشف الغمة ٧٢٧/٢.

٣ - ينظر: مهج الدعوات ١٧٥-٢٠١.

الفصل الثاني

في رحاب مدرسة الإمام الصادقعليه السلام

إنَّ الإنسان مدني بالطبع، يألف الآخر، ويسعى للتواصل معه؛ لشعوره بحاجة ماسة للتكامل مع أفراد مجتمعه، والاستزادة من تجاربهم، بما ينفعه ويضيف اليه رصيداً لايستغني عنه.

ولهذا التواصل مستويات ودرجات، ومنها تواصل الأجيال فكرياً وثقافياً، بما يربط الجيل الحاضر بماضيهم الزاهر، الذي يمثِّل جزءاً مهماً من تاريخهم العريق؛ لما لعملية الربط من فوائد ومنافع كثيرة، لا تعوّضها قدرات الحاضرين وآثارهم، على أهمية أدوارهم، الا أنَّ في (التجارب علمٌ مستفادٌ)[1]، وإنَّ من أوفر معادنها هم المجرِبون ممَنْ خبَرَ الحياة ومارسها؛ ولذا فتجب الإفادة من جهود المتقدمين، و وعي طرق معالجاتهم لقضايا الحياة، بل إنَّ من الضرورة جداً ديمومة الصلة بين الجيلين،

---

١ - عيون الحِكم والمواعظ، الليثي الواسطي ٤٣،ط:دار الحديث.

والمحافظة على استمرار العلاقة المنتجة؛ لما يتوافر من خلال الاستذكار من اعتبار وتأسٍ ومواصلة على ذات الطريق، ومن ثَمَّ فهي مدخلات جديدة على الواقع المعاصر، لابد من التعاطي معها، كجزء مفيد في التوجيه الصحيح نحو الهدف، وعليه فلا يصح التناسي أو التغاضي، بل يلزم التذكير والتنويه عن محاسن تلك الجهود السابقة، خاصةً وقد دبت موجة الاستعاضة عن معلومٍ ماضٍ بمجهولٍ حاضر، الأمر الذي يثير هواجس القلق على مستقبل الأمة، التي يُراد نزعها من جذورها، بما يخليها عن كثيرٍ من التزاماتها، سوى ما للتجاهل من تبعات وسيئات، تحول دون توهج الحاضر بتراثٍ علميٍ وحضَريٍ أصيلين، لا يغيبان عن الذاكرة الوفية.

فكان لزاماً التعرف على بعض مواقع القوة في تراثنا الأصيل، والتعريف بها والتداول لها؛ كوسيلة متحضرة:

أولاً: لتعويض ما ينحسر أحياناً من أخلاقيات التعامل، أو ما يتعرض له الإرث الثقافي من تهديد بالاستبدال، بل ما انتابته فعلاً من عوامل التسطيح، بما يُخشى معه على تنامي الفرد

معرفياً، وما تستجرّه من نوبات التخلف في إدارة ملفاته، والمسك بوضعه والمقاومة إزاء هذا المد المؤثر.

ثانياً: لرفد المجتمع بمنابع تضيف اليه ما يتقوى به أفراده، وينمون طبيعياً من خلاله؛ فيتغلبوا على العوائق، ويستقيموا في طريق الوصول للهدف المنشود.

وإنَّ من بين أبرز مواقع القوة في تراث الإسلام بل الإنسانية، هو ما رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام من نصوص وروايات تنير الطريق، وتعين على الاستقامة، وهي جزءٌ مما في مدرسته الفكرية والمعرفية من غناء معرفي، وتراث غني، ما زالت تمسُّ الحاجة الى الأخذ منه، والتزود بعطاءاته المتنوعة التي أغنت الإنسان كثيراً؛ إذ عرّفته دوره وما يلزمه النهوض به من مسئوليات إزاء نفسه أو غيره، وبذلك تجلى الدور الإنساني لهذه المدرسة المتميزة بما توفره من منابع العلم والمعرفة والفكر، ومن دون أنْ تحدد ذلك ببعض دون آخر، بل اتسعت آفاقها وتطلعاتها لبني البشر كافة، بدون تمييز عِرقي أو قومي أو ديني، بما ينبئ عن نظرة واسعة شاملة للإمام الصادق عليه السلام في تقويم بناء الإنسان

وترشيده فكرياً وسلوكياً؛ مما وفر مقومات كثيرة لا يُستغنى عنها، في عملية تعليم الإنسان وأنسنة العلوم، بما هيئ لها فرص الحضور المؤثر أينما اتجهت؛ فامتداداتها أغنت ميادين البحث العلمي الأصيل، وأثرته بالخزين المعرفي المتنوع، مما أكسب هذه المدرسة المباركة فاعليةً في عدة مواقع مكانية وزمانية وتخصصية، دون أنْ تحول دونها، أو تقفز على دورها المداخلاتُ أو المؤثراتُ المختلفةُ التي أُحطيت بها، سلطوياً أو فئوياً، بل كان العكس؛ حيث كان نشاط هذه المدرسة المباركة يزداد وتتسع مدياته، والى يومنا الحاضر-والحمد لله تعالى-، مع ما عاناه الإمام الصادق عليه السلام، من مختلف صنوف الضغوط والمضايقات؛ كما سبقت الإشارة لنماذج منها، لكنه عليه السلام لم ينكفأ أبداً، ولم يترك أداء مهامه في توجيه الأمة وقيادتها فكرياً، إنْ لم تُتح الفرصة في مجالات أخرى؛ فقد كان دائم التجديد لأساليب النشاط العلمي، بما يكفل تواصله مع الآخر، وبذلك لم يعطِ لخصومه ما أرادوه له من تحجيم وتطويق، بل سعى بجهده الى تطوير الإنسان وتنميته وتغذيته بما يغني عن ارتياد مواقع الجهل والتخلف، منمّياً فيه

عناصر الإبداع العلمي أو الحياتي الآخر، ومشجعاً له في سلوك سبُل السلامة والقوة، من دون أنْ يتعدى على واجب أو محرّم، وهذا ما أبرز الدور الإنساني للإمام الصادق عليه السلام، وحفظ جهوده العلمية والتربوية على مدى هذه العقود المتطاولة؛ إذ وازَنَ عليه السلام بين الروح والجسد، والمادة والمعنى، والعلم والعمل، ولم يترك فرصةً لتغلب الفاني على الباقي، بل مازَجَ بينهما، وكان عليه السلام واقعياً عملياً في تنظيره لبرنامج حياتي متكامل، يبدأ مع الإنسان في بداية ما يتلقاه وليداً، ويتماشى معه في خطوات الحياة، ولم يهمله في نهايات الطريق، بل كان متابعاً لخطواته في طريق التنمية والنجاح، ومحذِراً إياه من منعطفاتٍ تصادفه أثناء ذلك، تعيق الطريق ا، أو تؤخر تحقيق فرص النجاح؛ الأمر الذي يكشف عن تصميمٍ على حفظ الإنسان، واهتمامٍ بانقاذه من المزالق أو المعاثر، بمختلف أوجه التوجيه والتثقيف، بما تتسع للإفادة منها لأوسع قاعدة جماهيرية في مختلف الزمان والمكان، مهما تنوعت الثقافات الحياتية، وتتعددت التوجهات الفكرية، حتى غدا حضور الإمام الصادق عليه السلام التنموي مؤثراً ومباركاً؛ من

خلال القدرة الفائقة على اجتذاب النفوس، والهيمنة على العقول، بما يعرّفها السبيل، ويعينها على انجاز تحقيق الأماني والآمال ضمن المعقول، وليس الموهوم الموعود؛ كما قد تتداوله بعض الاطروحات الحداثوية، التي لم تساعدها التجارب، ولم تؤهلها الخبرات لرسم خارطة طريق مضمونة السلامة والوصول، كالتي يسعى البحث لابرازه واستلاله من تراث الإمام الصادق عليه السلام وما أُثرَ عنه تنموياً؛ بحيث يغطي مساحة الفرد والمجتمع، دون اللجوء للاستعانة بأدوات غير مجرّبة؛ كما هو شأن بعض القراءات المعاصرة، التي لم تتعاطَ بواقعية مع الواقع، وإنما انحازت لقناعات شخصية، أو اقناعات مستوردة، تفتقر الى مزيدٍ من التنضيج والتأمل.

ولابد من أولاً تعريف التنمية البشرية وما تدل عليه هذه المفردة لغة واصطلاحاً، وذلك في: -

الفصل الثالث

المبحث الأول

التنمية لغةً واصطلاحاً

التنمية لغةً: وزان التفعلة[1]، وهي من مشتقات مادة(النون والميم والحرف المعتل، أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة، ونمى المال ينمى: زاد...)[2]، (ونميت النار تنميةً ألقيت عليها

---

١ - (...قاعدَةُ التَّفْعلة من كلِّ فعْلٍ على فعل مُعْتَل اللامِ مُضَعّفاً كزَكّى تَزْكِيةً ورَوَّى تَرْوِيَةً،وما لا يُحْصَرُ) تاج العروس،الزبيدي٦٠٧/١٩؛إذ(لا بُدَّ لكلِ فعْلٍ غَيْرِ ثلاثي من مصدر مَقيس؛فقياسُ فَعَّلَ- بالتشديد- إذا كان صحيح اللامِ التَّفْعِيلُ كالتَّسْلِيم...،ومُعْتَلُّها كذلك ولكن تحَذْف ياءِ التفعيل وتُعَوَّضُ منها التاء،فيصير وزنه تَفْعِلَه كالتَّوْصِيَةِ والتَّسْمِيةِ والتَّزْكِيَةِ)،أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك،ابن هشام الأنصاري ١٧٨.

٢ - مقاييس اللغة،ابن فارس ٤٧٩/٥.

شيوعها)[1]، -(وهو ما دقَّ من الحطب)-[2]، أو(رَفَعَها وأَشْبَعَ وَقُودَها؛ وذلكَ بأَنْ أَلْقَى عليها حَطَباً فذَكَّاها به ...وهو مجازٌ)[3].

والتنمية اصطلاحاً تختلف باختلاف متعلقها، فالتنمية البشرية (توسيع لحريات البشر وامكاناتهم، فيعيشون الحياة التي يختارونها وينشدونها، ...يتجاوز حدود الاحتياجات الأساسية الى الكثير من الغايات الأخرى الضرورية لعيش حياة لائقة)[4].

فهي عملية تطوير الكفاءات البشرية وتحسين أدائها، بصورة شاملة، في مختلف الميادين الحياتية، مما يشارك كمدخل لحصول عمليات تغيير نوعي في المجتمع، مع المحافظة على أصوله، والمساهمة في الانسجام بين الأفراد، بما لا يتعارض و ثوابت

---

١ - أساس البلاغة،الزمخشري ٩٩٣.

٢ - المخصص،ابن سيده، ج٣ ق٢ ص٣٠.

٣ - تاج العروس،الزبيدي ٢٦٤/٢٠،ونحوه (ونميت النار تنمية،إذا ألقيت عليها حطبا وذكيتها به).الصحاح ٢٥١٦/٦.

٤ -تقرير التنمية البشرية ٢٠١١،الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي،ص١.

الإنسان النوعية، **فكانت التنمية البشرية: مقاربة تصحيحية متتالية على مدى الزمان ومختلف المكان، وصولاً للأفضل.**

وعليه فلم تكن التنمية البشرية مجرد(عملية ترمي الى توسيع نطاق خيارات الأفراد وحرياتهم)[١]، كما ورد في تعريف الاقتصادي الشهير محبوب الحق[٢]؛ حيث لم يؤطر تلك الخيارات والحريات بما يضمن المحافظة على قواعد التعامل الإنساني، وعدم إساءة الاستخدام؛ تلافياً لحصول اضطراب في المعايير، أو اصطدام في استخدام الحرية الشخصية، أو استعمال العنف ونحوه بحجة الحرية الشخصية؛ فلذا كان لزاماً تقييد تعريفه المتقدم بما يؤكد ضرورة عدم تزاحم تلك الخيارات والحريات مع الثوابت النوعية للإنسان، بحيث لا يختلف عليها، ولا تتحول التنمية البشرية الى تضييق بعدما كانت توسيعاً.

---

١ - التنمية البشرية في القرآن الكريم، طلال فائق الكمالي ٩(أطروحة ماجستير ٢٠١٣م-١٤٣٤هـ)

٢ - محبوب الحق(١٩٣٤م-١٩٩٨م) باكستاني الجنسية،اهتم بنظريات تطور المجتمع الإنساني، وهو الرائد الأول في بيان معالم التنمية البشرية،وهو الذي أعدَّ التقرير الأول للأمم المتحدة عام ١٩٩٠م،المصدر السابق نفسه.

المبحث الثاني

التنمية في نشأتها و أطوارها التأريخية

نشأت ((التنمية...في جذورها الأولى منذ المحاولات المبكرة التي قام بها الإنسان الأول لمعرفة التغيّرات التي تجري من حوله، وقد ارتبط ذلك بالمشاهد الحية والتأمل في التغيّرات التي تحدث في الموجودات كفصول السنة والنبات والإنسان والحيوان؛ حيث أوضحت تلك التغيّرات أن هذا الكون في حركة مستمرة وفي تغير دائم، وقد أدت هذه المشاهدات والتأملات إلى بروز جدل فلسفي متواصل حول ماهية الأشياء، وطبيعة المتغيرات التي تحدث فيها، ...﴿و﴾ كان فلاسفة اليونان...السابقين إلى إثارة هذا الجدل في تاريخ الفكر الأوروبي، ومن بين هؤلاء الفلاسفة كان هرقليطس، الذي اهتم في جانب كبير من فلسفته بقضايا التغيّر، مشيراً إلى أن هذا الكون في حركة وتغير دائمين، وقد عرفت عنه مقولته الشهيرة "إنك لا تستطيع أن تنزل في نفس النهر مرتين"، وهو بهذا يقرر أن كل شيء في هذا الكون في حركة

مستمرة وتغير، وأن كل شيء مؤلف من متضادات (متقابلات)؛ ولهذا فإنه خاضع للتوتر الداخلي، أي للصراع.

وهرقليطس في هذا، يرفض أطروحة الفيلسوف اليوناني بارمنيدس القائلة بأن شيئًا قد يكون، ولا مجال للتغير، كما يتعارض مع فلسفة أفلاطون في اعتباره التغيّر أمرًا ظاهريًا، وأن الحقيقة لا يمكن معرفتها إلا من خلال الشكل أو الفكرة، وهما غير قابلين للتغيير لأن بهما وحدهما نستطيع أن نميز الجيد والحقيقي من غيره.

أما أرسطو فقد ناقش موضوع التغيّر من جانب آخر، فأشار في معرض دراسته لطبيعة الدولة في كتاب السياسة بوجود نظام في الكائن العضوي يمكنه من الانتقال من مرحلة إلى أخرى؛ يبدأ بالولادة، فالنضج، وأخيرا الاضمحلال، وكل مرحلة من مراحل النمو هذه تختزن في باطنها حافز نشوء المرحلة التي تليها.

﴿و﴾عند العرب، في القرن الرابع عشر الميلادي، برز المفكر وعالم الاجتماع العربي عبد الرحمن بن خلدون ليعطي مفهوم التغيير الاجتماعي بُعداً أكثر شمولية وعمقاً، مؤكداً أنَّ الظواهر

الاجتماعية لا تنشأ من فراغ، فلكي نفهم الظاهرة الاجتماعية يجب أن نعي البيئة التي نشأت فيها؛ ولذلك عزا ابن خلدون سلوك الناس وطريقة حياتهم إلى نوعية الوظائف التي يشغلونها في المجتمع، والتي تلبي حاجاتهم الأساسية؛ فتلك الوظائف وتلك الحاجات هي مبعث التحالفات وأوجه التعاون بين فئات المجتمع.

وقد أوضح ابن خلدون ذلك بدقة قائلاً: "واعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش، فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه... قبل الحاجي والكمالي ... وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفء إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بُلْغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عمّا وراء ذلك، ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك إلى السكون والدعة"[١]... .

١- مقدمة ابن خلدون ١/١٢٠.

﴿و﴾لم يحدث بعد رحيل ابن خلدون حتى البدايات الأولى لعصر النهضة...في أوروبا أي تطور علمي يذكر فيما يتعلق بمفهوم التنمية...، إلا أنَّ التطورات والثورات الفكرية والدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية اللاحقة، والتي ارتبطت بذلك العصر، قد أدت إلى حدوث تغيّرات جذرية وتطورات واسعة في مجال العلوم الإنسانية...، ومن خلال الجدل الفلسفي الذي بلغ ذروته في القرن الثامن عشر، انبثقت نظريات التطور والتنمية والتقدم، وبرزت فلسفات حديثة شاملة للكون والحياة؛ ولأن نظريات التنمية والتطور الحديثة التي تسود عالمنا اليوم قد ارتبطت، إلى حد كبير، بالنظريات والتصورات التي انبثقت عن تلك المرحلة؛ فأنَّ من المهم المرور على أبرز الحوادث والتطورات والأفكار التي ارتبطت بعصر النهضة...، وعلى الرغم من أن أحداً لا يستطيع أن يحدد بالدقة نهاية عصور الظلمة أو بداية عصر الانبعاث في أوروبا، إلا أنه يمكن القول إنه بفعل إشعاعات الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، والنتائج التي توصل إليها العلماء والفلاسفة العرب؛ فإن أوروبا مع بداية القرن

الثالث عشر الميلادي كانت تتململ ببطء في محاولة للاستيقاظ من سبات عميق؛ فقد سجلت كتب التاريخ أن الإمبراطور فريدريك الثاني قد أقام سوقًا للأدب والعلم والفلسفة في بلاطه في جزيرة صقلية، وأنه كان يدعو إلى هذه السوق المشاهير من الفلاسفة العرب، وقد أسس مدرستين إحداهما للعلوم في نابولي، والثانية للطب في ساليرنو، ثم انبثق عن هاتين المدرستين جامعة في باريس جعلت من هذه المدينة قبلة طلاب العلم في أوروبا، ومن ثم انشق بعض الطلاب الإنجليز عن هذه الجامعة فعادوا إلى بلادهم وأنشأوا جامعة خاصة بهم هي جامعة أكسفورد الشهيرة، ﴿و﴾في القرن الثالث عشر شهدت أوروبا تطوراً ملحوظًا في مجال الأدب والفلسفة؛ فقد برز الفيلسوف الإنجليزي روجر بيكون الذي أنكر العقيدة القائلة بأن الأشياء وجدت كما هي قائمة، موضحاً أن للظواهر الطبيعية أسبابًا يجب التفتيش عنها، فاتهم بالزندقة واضطهدته السلطات الكنسية، وعلى صعيد

الانطلاق الأدبي شهد القرن نفسه نشر دانتي ملحمته الشهيرة الكوميديا الإلهية))[١].

فكان((مفهوم التنمية من أهم المفاهيم العالمية في القرن العشرين؛ حيث أُطلق على عملية تأسيس نظم اقتصادية وسياسية متماسكة فيما يُسمى بـ "عملية التنمية"، ويشير المفهوم لهذا التحوّل بعد الاستقلال- في الستينيات من هذا القرن- في آسيا وإفريقيا بصورة جلية.

وتبرز أهمية مفهوم التنمية في تعدد أبعاده ومستوياته، وتشابكه مع العديد[٢] من المفاهيم الأخرى مثل التخطيط والإنتاج والتقدم.

وقد برز مفهوم التنمية Development بصورة أساسية منذ الحرب العالمية الثانية؛ حيث لم يُستعمل هذا المفهوم منذ ظهوره في عصر الاقتصادي البريطاني البارز"آدم سميث" في الربع الأخير

١- الموسوعة العربية العالمية،مادة:التنمية،(نسخة قرص المكتبة الشاملة،الإصدار الثالث).

٢ - كذا،والصواب عدة.

من القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الثانية، إلا على سبيل الاستثناء، فالمصطلحان اللذان استُخدما للدلالة على حدوث التطور المشار إليه في المجتمع كانا التقدم المادي Material Progress، أو التقدم الاقتصادي Economic Progress، وحتى عندما ثارت مسألة تطوير بعض اقتصاديات أوروبا الشرقية في القرن التاسع عشر كانت الاصطلاحات المستخدمة هي التحديث Modernization، أو التصنيع Industrialization.

وقد برز مفهوم التنمية Development بداية في علم الاقتصاد حيث استُخدم للدلالة على عملية إحداث مجموعة من التغيّرات الجذرية في مجتمع معين؛ بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر بمعدل يضمن التحسن المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراده، بمعنى زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للحاجات الأساسية والحاجات المتزايدة لأعضائه، بالصورة التي تكفل زيادة درجات إشباع تلك الحاجات، عن

طريق الترشيد المستمر لاستغلال الموارد الاقتصادية المتاحة، وحُسن توزيع عائد ذلك الاستغلال.

ثم انتقل مفهوم التنمية إلى حقل السياسة منذ ستينيات القرن العشرين؛ حيث ظهر كحقل منفرد يهتم بتطوير البلدان غير الأوربية تجاه الديمقراطية، وتُعرّف التنمية السياسية: "بأنها عملية تغيير اجتماعي متعدد الجوانب، غايته الوصول إلى مستوى الدول الصناعية"، ويقصد بمستوى الدولة الصناعية إيجاد نظم تعددية على شاكلة النظم الأوربية تحقق النمو الاقتصادي والمشاركة الانتخابية والمنافسة السياسية، وترسخ مفاهيم الوطنية والسيادة والولاء للدولة القومية، ولاحقاً تطور مفهوم التنمية ليرتبط بالعديد[1]من الحقول المعرفية، فأصبح هناك التنمية الثقافية التي تسعى لرفع مستوى الثقافة في المجتمع وترقية الإنسان، وكذلك التنمية الاجتماعية التي تهدف إلى تطوير التفاعلات المجتمعية بين أطراف المجتمع: الفرد، الجماعة، المؤسسات الاجتماعية المختلفة، المنظمات الأهلية، بالإضافة لذلك

---

١ - كذا،والصواب بعدة.

استحدث مفهوم التنمية البشرية الذي يهتم بدعم قدرات الفرد وقياس مستوى معيشته وتحسين أوضاعه في المجتمع))[١].

وقد تطور مفهوم التنمية البشرية ليشمل مجالات متعددة منها : التنمية الإدارية والسياسية والثقافية، ويكون الإنسان هو القاسم المشترك في جميع المجالات السابقة، ولهذا فتطورالأبنية: الإدارية والسياسية والثقافية له مردود على عملية التنمية الفردية من حيث تطوير انماط المهارات والقيم والمشاركة الفعالة للإنسان في عملية التنمية إلى جانب الانتفاع بها، وعلى هذا يمثل منهج التنمية البشرية الركيزة الاساسية التي يعتمد عليها المخططون وصانعو القرار لتهيئة الظروف الملائمة لإحداث التنمية الاجتماعية والاقتصادية. وبعد كل هذا يمكن إجمال القول : **أن التنمية البشرية: منهج يهتم بتحسين نوعية الموارد البشرية في المجتمع، مع تحسين النوعية البشرية نفسها.**

---

١ - مفهوم التنمية، د.نصر عارف- كلية العلوم السياسية/جامعة القاهرة –(نسخة قرص المكتبة الشاملة،الإصدار الثالث).

ولكن مفهوم التنمية في الإسلام، قد تقدم على أولئك في إطروحته؛ كما يتبين من:

الفصل الرابع

المبحث الأول

التنمية البشرية في الإسلام

إنَّ الإسلام يؤكد على **أنَّ التنمية البشرية للإنسان وبالإنسان، لنفسه الفاعلة، ومعارفه المتغيرة، وقدراته المتجددة**؛ لكون التنمية محفزة على الجد والمثابرة والكمال والإتقان وسائر حالات الإنماء، الشاملة والمتكاملة والمرتبطة بحركة المجتمع تأثراً وتأثيراً، وبالتالي فهو ليس بجديد على الإسلام، ولو لم يرد كمصطلح فيه، ومازال على اشتقاقه اللغوي، لكنه سبق غيره -لاسيما على مستوى الفكر، لاالفرد-؛ إذ جعل ركيزة ما ينطلق منه هذا المشروع التنموي، هو رسوخ مفهوم المحبة والأخلاق الحسنة، وأنه يؤسس للعمل التكاملي مع الآخر، ويجمع الأخلاق والاقتصاد وسواهما من الموارد المتوافرة من أجل الإنسان، فهي ببُعديها

المعنوي والمادي، قد وفّرت للإنسان فرصة التنمية المستدامة، لا من خلال تطوير الأرض والمدن والأعمال التجارية فحسب [١]؛ بل من خلال تقوية مختلف مجالات المجتمع، لتكون نواة الاستثمار الأمثل للطاقات و الإمكانات، بينما تُختصر التنمية في غير الإسلام بزيادة دخل الفرد بما يتناسب مع النمو السكاني، وهو ما لم يعالج مشكلة المجتمع بكامله، بل اهتم بالفرد؛ على أساس أنَّ (التنمية البشرية مبنية في المقام الأول...على السماح للناس بأن يعيشوا نوع الحياة الذي يختارونه، وعلى تزويدهم بالأدوات المناسبة والفرص المؤاتية لتقرير تلك الخيارات، وفي السنوات الأخيرة سعى تقرير التنمية البشرية بقوة إلى إثبات أن هذه المسألة هي مسألة سياسة بقدر ما هي مسألة اقتصاد، من حماية حقوق الإنسان إلى تعميق الديمقراطية)[٢].

---

١ - كما حدد مفهومَها ما ورد في موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة:تنمية مستدامة.

٢ - موقع الأمم المتحدة على شبكة الانترنت،تقارير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي،تقرير التنمية البشرية.

وهذا ما يمثّل إفراطاً في منح الحرية أو استخدامها؛ حيث يفترض استواء الأفراد في قابلياتهم لاختيار نوع الحياة، مع أنهم ليسوا على شاكلة واحدة، ولم يغنهم بشئ تزويدهم بالأدوات والفرص لتقرير ذلك؛ إذ يُسهم بوضوح في تأميم الخيارات جميعاً لصالح فئة أو فرد، كما أكده التقرير في النص المتقدم، فلم يكن الاختيار خالياً عن حسابات معينة، تؤثر على حق الناس المكفول؛ بعد عدم افتراض عصمة القائم عنهم بذلك.

ومن هنا كانت خيارات الإسلام في التنمية البشرية، أكثر تلاؤماً مع واقع إنسانية الفرد، بما يعبأ فيه روح المسئولية، وينشطه للمطالبة بحقوقه المشروعة في الحياة؛ إذ كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **(يقول الله: وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية، كانوا على ما كرهته من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي، وما من أهل بيت ولا قرية ولا رجل ببادية، كانوا على ما أحببت من طاعتي ثم تحولوا عنها إلى ما كرهت من معصيتي إلا تحولت لهم عما**

يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبى)[1]؛ بما يقرر واحدةً من سننه تعالى الكونية، من أنَّ التغيير مرتبط بإرادة العبد الجازمة للتغيير، فيكون قد تفاعل عقلياً وجسدياً مع الحدث، وبدأ خطوات الإصلاح والتطوير، لتتشكل بذلك إرادة مجتمعية عظمى، وتكون نهضة عامة، تستنفر الطاقات، وتستثمر الجهود، فتحصل التنمية المنشودة، وإلا كان التغيير أحادياً؛ إذ يعتمد تصوراً فردياً، قد يصيب كما يخطئ، ومعه فلا يتم التفاعل الثنائي سواءاً على مستوى التنمية عامةً، أم التراحم خاصةً باعتباره خطوة جادة في طريق التطور والنجاح.

ومما يشهد بسبق التنظير إسلامياً للتنمية، تأكيده على إشاعتها في عدة مجالات؛ فقال تعالى: ﴿**وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ**﴾[2]، وهو توجيه بضرورة ترشيد الاستهلاك والإنفاق وعدم مجاوزة الحد الطبيعي في النفقة؛ ليصل الفرد الى مستوى أفضل، ويتجاوز بعض ضوائقه المالية، ولم يقتصر على ذلك بل أرشد الى الإفادة

---

١ – الدر المنثور،السيوطي ٤/٤٨.

٢ – سورة الأعراف،من الآية٣١.

من رؤس الأموال وتدويرها تجارياً؛ فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[1]، حاشاً بذلك على استهلاك المال والاستفادة منه واستثماره بما يعود نفعه على الجميع؛ كما هو واقع التجارة؛ إذ تؤدي الى الاستعانة بأكثر من يد عاملة، وتحقق مكسباً لأكثر من عائلة وجهة، فتُحدث بدورها ترددات إنفاقية تعمل على تحريك السوق محلياً بل إقليمياً بل دولياً، مما يمتص كثيراً من مظاهر البطالة أو سائر الأزمات الأخرى؛ ولذلك أهتم رسول الله صلى الله عليه وآله بها وحثَّ عليها بقوله: (**تسعة أعشار الرزق في التجارة...**)[2]، بما يبين أهمية ترشيد طرق استغلال الثروات وعدم الاقتصار على حالات محدودة، بل تطويرها ضمن الضوابط، الأمر الذي يحقق تنمية اقتصادية مهمة، تستبعها تنمية بدنية؛ حيث ينشط المتاجر ويكدح، فيبتعد بسبب ذلك عن الخمول والكسل وسفاسف

---

١ - سورة النساء، من الآية ٢٩.

٢ - الخصال، الشيخ الصدوق ٤٤٦ ح٤٥،الجامع الصغير، السيوطي ٥٠٦/١ رقم٣٢٩٦.

الأمور والفضول في شئون غيره، ولا يجد وقتاً للتفكير السلبي إزاء أحد، وغيرها من دوّال التطوير والتغيير الايجابي، ومنه التنمية الزراعية، والتي هي من بعض ما أنعم تعالى به على عباده وحثهم على الأخذ منها وبها؛ ليندفعوا في مجالات العطاء والرخاء، ويجروا في طرق الأرض ويبحثوا بأنفسهم عن الرزق الحلال؛ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**﴾[1]، ﴿**وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾[2]، ﴿**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ، أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ**

---

١ - سورة الأعراف، الآية ١٠.

٢ - سورة الحجر، الآيات ١٩-٢٢.

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٢]، وغيرها من الآيات المباركة التي تهئ للتنمية الاجتماعية والتطوير النوعي والتغيير في المجتمع له ومن أجله؛ قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٣]، ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٤]، بما يبعث على التلاحم وتقوية الأواصر و تكثير الروابط، مما يُرجى منه الخير للجميع، وتترشح عنه تنمية سياسية، تحقق تطويراً كبيراً لِبُنى المجتمع، فضلاً عن الفرد؛ بعدما يستشعر الجميع المسئولية في تدبير الأمور العامة ومتابعتها بما ينسجم مع

١ - سورة النمل الآيتان ٦٠-٦١.

٢ - سورة البقرة،الآية٢٦٧.

٣ - سورة المائدة،الآية٢.

٤ - سورة الحشر،الآية ٩.

المصالح العامة المشتركة، الأمر الذي يوفر استقراراً نوعياً أمنياً واقتصادياً ومجتمعياً عاماً، بما يبرز دور الاحتكام الى ذوي التجربة والحكمة، ويبين أهمية التشاور؛ حيث لا يستقيم أمر بالفوضى والاستبداد؛ قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2]، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[3]؛ تأكيداً على ضرورة التحاور واشتراك الجميع في اتخاذ المواقف المهمة، وعدم التعجل في حسمها؛ لما لإجالة الرأي وإدارته بين أكثر من طرف أو جهة من أثر كبير في بلورة الأفضل، وهذا ما يجب اتباعه؛ تفعيلاً للتنمية وترسيخاً لمفهوم التطوير القائم على إشاعة روح التعاون والتكاتف في الإنسان.

---

١ - سورة النساء،الآية ٦٥.

٢ - سورة آل عمران،من الآية ١٥٩.

٣ - سورة الشورى،من الآية ٣٨.

المبحث الثاني

التنمية البشرية في أضواء القرآن والسنّة

قال تعالى واصفاً القرآن الكريم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، ﴿ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[2]، مما يؤصل حقيقة كاشفية القرآن الكريم عن الأشياء، وأنه كتاب هداية ورحمة؛ إذ يدعو الى الصلاح والفلاح في النشأتين؛ حيث يعمّق مفاهيم الطاعة والتقوى والعمل الصالح والسلوك الحسن مع الجميع والدفع بالأحسن وسواها من الأخلاق الحميدة والصفات الحسنة، وهو مع ذلك كله بشرى للعاملين به؛ فقد تكفل لهم بتحديد طريق النجاة، وسهل عليهم سلوكه.

---

١ - سورة النحل،من الآية ٨٩.

٢ - سورة الأنعام،من الآية٣٨.

وإنَّ أوصاف القرآن الكريم هذه وسواها، مما تبعث نحو استجلاء حقائقه والإفادة منها، ليستعين بها المتأمل على مواكبة الحياة، والتكيّف مع مستجداتها ومشكلاتها، ضمن المعقول والمسموح، بما يضيف زخماً معنوياً داعماً لمواصلة المسيرة، واستنماء المعلومة، وإنْ تطلّب ذلك مواصلةً ومثابرةً في البحث عما أودعه تعالى في كتابه العزيز، الذي أئتمن عليه(**أَحَبَّ أَنْبِيَائِه إِلَيْه، وأَكْرَمَهُمْ عَلَيْه، مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّه... اصْطَفَاه اللَّه، وارْتَضَاه، واجْتَبَاه، وآتَاه مِنَ الْعِلْمِ مَفَاتِيحَه، ومِنَ الْحُكَمِ يَنَابِيعَه، ابْتَعَثَه رَحْمَةً لِلْعِبَادِ، ورَبِيعاً لِلْبِلادِ ...**)[١]، (**ابْتَعَثَه بِالنُّورِ الْمُضِيءِ والْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، والْمِنْهَاجِ الْبَادِي والْكِتَابِ الْهَادِي**)[٢]، (**...ابْتَعَثَه والنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، ويَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ**

---

١ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٤٤٤ ح-١٧ عن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ غَالِبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام فِي خُطْبَةٍ لَه خَاصَّةً يَذْكُرُ فِيهَا حَالَ النَّبِيِّ والأَئِمَّةِ عليهم السلام وصِفَاتِهِمْ.

٢ - نهج البلاغة(تحقيق الصالح)٢٢٩.

الْحَيْنِ، واسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ...)[١]، فكان الوصول الى الكنز مشروطاً باتباع الأمين عليه صلى الله عليه وآله الموصوف بقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[٢]؛ إذ لابد من الاسترشاد به ودلالته، وعدم الاستغناء اغتراراً ببعض ما يُحرز من العلوم، بل مهما تكامل الإنسان، فلا غنى له عن الإفادة من عطاء رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لكونه المعلّم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٣]، بما يمثّل حالة فريدة؛ لجمعه بين التزكية والتعليم، بما يعنيانه من اقتران العلم والعمل، وهما عصبان حيويان، يتوزعان شئون الحياة، وبدون أحدهما يتحول الفرد الى آلة مستجيبة، فكان دور الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في التطوير والتغيير، بأنْ دعا الى تفعيل إرادة الإنسان

---

١ - المصدر نفسه ٢٣٨.

٢ - سورة الأحزاب،الآيتان ٤٥-٤٦.

٣ - سورة آل عمران،الآية ١٦٤.

في صنع الحياة، ومشاركته الفاعلة في اختطاط طريقه ورسم ملامحه العامة، وهو ما يقوي لدى الإنسان المناعة من اختراق أحدٍ إياه، ويهئ له وسائل الدفاع الواقية لو تعرض لذلك؛ فقال صلى الله عليه وآله : (**لا تُسخطوا اللهَ برضا أحدٍ من خلقه، ولا تتقربوا إلى أحدٍ من الخلق بتباعدٍ من الله عز وجل؛ فإنَّ اللهَ ليس بينه وبين أحدٍ من الخلق شئٌ يعطيه به خيراً أو يصرف به عنه سوءاً إلا بطاعته وابتغاء مرضاته، إنَّ طاعةَ اللهِ نجاحُ كلِّ خيرٍ يُبتغى، ونجاةٌ من كلِّ شرٍّ يُتقى، وأنَّ اللهَ يعصم مَنْ أطاعه ولا يعتصم منه مَنْ عصاه، ولا يجد الهارب من الله مهرباً؛ فأنَّ أمرَ اللهِ نازلٌ بإذلاله ولو كره الخلائق، وكل ما هو آت قريب، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، تعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب**)[1]، وقوله صلى الله عليه وآله : (**...إنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته**)[2]، وغيرها من دعواتٍ

١ - أمالي الشيخ الصدوق ٥٧٧،رقم ١/٧٨٨.

٢ - شُعب الإيمان،البيهقي ٢٩٩/٧ رقم ١٠٣٧٦.

للاستقامة واتباع الحكمة وعدم التورط بالمخالفة؛ لما تسببه من سوءٍ لا يُتدارك.

وأنَّ العاقل مدعوٌ للاستجابة؛ بعدما كان التحذير من المعصية والمخالفة؛ ولو للخوف من عقوبة يومٍ لا يجد الهارب من الله مهرباً؛ بما يُلزم عقلاً بدفع ذلك الضرر- ولو كان محتملاً غير متيقن-، وعليه العمل بالطاعة؛ إنجاءاً لنفسه وحفظاً لها من النار، وهذا ما يستلزم تعريفاً إلهياً لعباده؛ فأرسل الرسل وبعث الأنبياء (**أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ؛ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ اللَّه إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّه واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه؛ فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَه، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَه لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه، ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ؛ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، ولَمْ يُخْلِ اللَّه سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ**

لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَه مَنْ بَعْدَه، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَه مَنْ قَبْلَه، عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ ومَضَتِ الدُّهُورُ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ، إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّه سُبْحَانَه مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله ؛ لإِنْجَازِ عِدَتِه وإِتْمَامِ نُبُوَّتِه، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُه، مَشْهُورَةً سِمَاتُه كَرِيماً مِيلَادُه، وأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّه لِلَّه بِخَلْقِه أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِه، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِه، فَهَدَاهُمْ بِه مِنَ الضَّلَالَةِ وأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِه مِنَ الْجَهَالَةِ، ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَه لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لِقَاءَه، ورَضِيَ لَه مَا عِنْدَه وأَكْرَمَه عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، ورَغِبَ بِه عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى، فَقَبَضَه إِلَيْه كَرِيماً عليه السلام، وخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا؛ إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ ولَا عَلَمٍ قَائِمٍ)[١].

وإنَّ إرساله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله تكليفٌ بترشيد أمةٍ، لها قناعاتها الفكرية وممارساتها العضوية، فلو لم يكن المرسَل جامعاً لخصائص ذاتية، وكفاءات مؤهلة لتلقي الفيض الإلهي، لما كلّفه

---

١ - نهج البلاغة ١/٤٣-٤٤ الخطبة ١.

تعالى بذلك، وإلا كان نقضاً للغرض من الإرسال، وحاشاه تعالى، كما لم تكن إرادةُ الإرسال موجِدةً للأهلية، وإلا فهو الجبر، وحينها لم يكن الانقياد بالإرادة، ولا يستحق العبد جزاءاً عليه؛ بعدما قد قُسِرعلى الاستجابة، بل كان ظلماً، ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[1]، ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾[2].

إذن، كان المرسَل صلى الله عليه وآله متحلياً بمقومات الاستعداد واللياقة لأداء الرسالة الإلهية، المستوعبة لمفاهيم الفلاح والصلاح والرشاد، وتنشيط المغروس الفطري منها في الإنسان، وتنميته بحيث يترعرع مستقيماً سليماً عن التأثر بسلبيات المجتمع؛ لما أتاحه له من أجواء المناعة، ومناخ الاستقامة، فلو خرج عنها أحدٌ كان مقصِّراً في حق نفسه، وبهذا صحَّ أنْ يكلف تعالى عباده؛ بعدما أقام الحجة لهم، فكان فيها تنجيز وتعذير.

وقد أدرك المبعوث صلى الله عليه وآله مبكراً أهمية تغيير حياة الإنسان وتطويرها إلى الأفضل، في عملية شاملة ومتعددة الجوانب

---

١ - سورة الكهف،من الآية ٤٩.

٢ - سورة الإسراء،الآية٤٣.

ومستمرة؛ لأنَّ الإنسان هو المحور في عمليات التغيير والإصلاح، كما أنه الهدف من عمليات التنمية البشرية وبرامجها المختلفة، والتغييرُ من السنن الكونية الثابتة، فمن الضروري برمجته بما يضمن تقويم الإنسان ببرامج إصلاحية، تعبأ فيه روح العبودية لخالقه تعالى، والمواطنة مع المخلوقين، والمسئولية تجاه سائر المخلوقات، فيبتعد عن منطلقات العبث والعنف، بل يقترب بوعي من ممارسة الإصلاح والإرشاد والتوعية والتوجيه، حسب طاقته، مستشعراً مسئوليته في ذلك، وعارفاً بعظيم دوره للمشاركة فيه، وقد اختط القرآن الكريم مناهج ذلك التغيير الإصلاحي، عبر الآيات المباركة، ومن خلال بيانات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأحاديثه المباركة؛ ليتأصل مفهوم التنمية البشرية، ويكون من مرتكزات بناء الإنسان ورسم دوره في الحياة.

وعليه فلم تعد التنمية البشرية من المفاهيم الحديثة، وإنْ شاع استعمال التنمية عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥م)، وخروج البلدان المشاركة-خاصة الخاسرة في الحرب- مصدومة من الدمار البشري والاقتصادي الهائل، فحاولوا الإسراع في

الخروج من النفق المظلم الذي دخلت فيه بسبب الحرب ومخلفاتها الكارثية؛ وشرعوا آنذاك بإعداد الخطط لإيجاد بيئة مناسبة للإنسان وممارسته الحياتية، ومع ذلك ظلَّ مصطلحُ التنمية - عالمياً- مقتصراً على الخطاب الاقتصادي والسياسي لحد تسعينات القرن الماضي، ولم يتبلور في الخطاب الفكري والمعرفي بعنوان التنمية البشرية إلا متأخراً من هذا القرن، لكنه متجذرٌ في مبادئ الإسلام وقيمِهِ الفكرية، وله أسسه النظرية وتطبيقاته في القرآن الكريم وتراث نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله، ولو لم تُعرّف بمصطلح التنمية البشرية، كغيرها من المفاهيم التي تعددت تسمياتها حسب المستعملين؛ لأنَّ السعي للتغيير والتطور و النماء، ملازم لمسيرة الإنسان الحياتية، ومن وسائل تطور الحياة البشرية على الأرض، فهو ممتد بامتداد الوجود الإنساني، لكنه لم يستغنِ عن بلورة بعض التفاصيل، كتوضيح ملامح التنمية البشرية في تراث الإسلام - قرآناً وسنةً-، وتنبيه الأمة على سبقه في هذا المضمار، وتعريفهم بما أشار اليه صلى الله عليه وآله من قدرة الإنسان على تنمية نفسه لنفسه بنفسه، وبدون الخروج عن سياق مجتمعه؛ ليتصل الحراك

عبر الأجيال زماناً، وفي المواقع الجغرافية والبيئية مكاناً؛ لما أودعه تعالى في الإنسان – عقلياً وجسدياً - من قدرةٍ على استيفاء حاجته الإنسانية في النمو والنضج والاستقرار؛ ليُميّز بين صالح الأشياء وطالحها، مستعيناً بسلسلة من المفاهيم والمبادئ، مما يجِّذر فيه الشعور بالمسئولية، ويحفّزه للمشاركة مع الآخر، في مجالات الإنتاج، و رسم السياسة الاقتصادية والمالية، وخطط العمل السياسي ومجالاته، وإدارة السلطة و العلاقة مع مختلف الشرائح، والعمل على تحسين مصادر الثروة ومعايير تملكها وتوزيعها، وترسيخ قيم الانتماء للدين والوطن والمحافظة على الهوية، وأنها لن تتعارض مع التطلعات للتطوير والتجديد كأداةٍ للتقدم والتنمية، وغيرها من المدخلات والسياقات المجتمعية التي تفرزها حاجة الإنسان، ويبرزها تكاملُهُ مع الآخر؛ تحقيقاً للأمل الإلهي في نهوض الإنسان بمنصب الخلافة؛ قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[1]، ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ**

---

١ - سورة البقرة،من الآية ٣٠.

خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[1]، مما يجعله-الإنسان- محوراً محرِكاً لعمليات البناء والتنمية والتطوير للمجتمع، ومتحملاً للأمانة؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ**﴾[2]، بما يقتضي استعداده ولياقته لذلك، مع احتياجه الى معرفة قواعد أداء الأمانة، ومقتضيات مقام الخلافة، فكان في الآيات الكريمة أو الأحاديث المباركة، ما يعرِّف الإنسان ذلك؛ وللتدليل على ذلك سيتم استعراض تطبيقات تنموية متعددة من الكتاب العزيز والأحاديث المباركة في:

---

١ - سورة:ص ،من الآية ٢٦.

٢ - سورة الأحزاب، من الآية ٧٢.

المبحث الثالث

المطلب الأول

تطبيقات تنموية

قد اشتمل القرآن المجيد على عدة مفاهيم، تعبِّر عن رؤية تنموية؛ مثل:

١- التزكية إذ قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1]؛ بما للتزكية من معنى النمو والزيادة والطُهر[2]، وهو مما تحتاجه خطط التنمية البشرية؛ لتكافح الفساد والتخلف بأشكالهما المختلفة؛ فلولا ذلك لاندثرت مبادئ النزاهة لدى الإنسان، وعاش حالة من الفوضى، بدون أنْ يستطيع غيره انقاذه، ما لم يقم هو شخصياً

١- سورة الشمس،الآيات ٧-١٠.

٢ - ينظر:مقاييس اللغة،ابن فارس ١٨/٣.

بتزكية نفسه، وحثها على اكتساب الفضائل، واجتناب الرذائل، ليتحول تلقائياً وبإرادته المستقلة الى عنصر ايجابي في مجتمعه، ينأى بنفسه عن مواقع السلبية والفساد في البلاد، ويقاطع مظاهر العدوانية والشر على العباد، فيعيش الطهر واقعاً، ويتفاعل مع ما ينمي لديه صفات الصلاح والفلاح والظفر بخير الدنيا والآخرة.

٢- التنشئة والإعمار؛ قال تعالى: ﴿**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**﴾[١]؛ بما يعنيان من وجود إنسان قادر على التعمير- مهما بلغ سعيه -، ولا تتم قدرته بمجرد قوته البنيوية دون ارتباطه الفكري وانتمائه الإيماني، حتى يدوم سعيه ولا ينكفئ، وهذا عنصر أساس في إنجاح العملية التنموية، وإلا فلا جدوى من برامج دون كفاءات عاملة، الأمر الذي يؤصل ارتباط العلم بالعمل، والنظرية بالتطبيق، والدنيا بالآخرة.

١- سورة هود،الآية ٦١.

٣- السعي؛ قال تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى**﴾١، بما يعكسه من تأكيد على مفهوم العمل والاعتماد على النفس في الوصول الى الأماني والآمال، ثم تحمّل المسئولية في المحافظة على المنجز والاستمرار في المشوار، بدون أنْ يقتصر أسلوب السعي المطلوب على آلية بعينها، بل يشمل البدء بعمل، أو تطوير الموجود من الخبرة والمهارة والقابلية، أو تجديد أدوات التنفيذ، أو إبداع وسائل واستحداث طرق، بل جميع ما يسهم في تحفيز الموارد البشرية على بذل أقصى الجهود من أجل رفع مستوى الفرد وتنمية المجتمع، الأمر الذي يرسخ المسئولية الفردية والنوعية في النفوس، ويجعلهما من أولويات المواطن والدولة، فلا يتغافل عنهما أحد؛ لأنه كما قال صلى الله عليه وآله: (**كلكم راع وكلكم مسئول؛ فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها،**

---

١ - سورة النجم،الآية ٣٩.

وهي مسئولة، والعبد راع على مال سيده، وهو مسئول، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول)[١].

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: (**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت)**[٢]، فلابد من الجد في

---

١ - مسند أحمد ٥/٢، (عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:...)،وعنه في عوالي اللئالي،للأحسائي١/١٢٩.

٢- أمالي الشيخ الصدوق٩٣ برقم٧٠ قال:(حدثنا محمد بن أحمد الأسدي البردعي، قال : حدثتنا رقية بنت إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ،عن أبيها،عن آبائه عليهم السلام قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ...)، لكن رواه الترمذي في السنن ٤/٣٦ برقم ٢٥٣٢ قال:(حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن،أخبرنا الأسود بن عامر،أخبرنا أبو بكر بن عياش،عن الأعمش ،عن سعيد بن عبد الله ابن جريج عن أبي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لا تزول قدما عبدٍ حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل،وعن ما له من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه "هذا حديث حسن صحيح ...)،والغريب إسقاط :عن أربع...وعن حبنا أهل البيت!!!؛مع أنَّ النقّاش الأصفهاني الخليلي الحنبلي (ت٤١٤هـ)في كتابه فوائد العراقيين ٥٠ ح٤ قال:(أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن أبي حصين، ثنا جدي أبوحصين محمد بن

الأمر، وعدم التواكل أو التواني، بل يلزم النهوض بالمسئولية، وعدم التخلف عن ذلك، والا فالمساءلة أو الندم على التفريط.

الحسين الوداعي، ثنا أحمد بن صبيح الأسدي، ثنا السرى بن عبد الله السلمي،عن زياد بن المنذر عن نافع بن الحارث عن أبي برزة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن حوله جلوس :" لا ، والذي نفسي بيده لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه ما فعل به ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه،وعن حبنا أهل البيت،فقال عمر رضي الله عنه : وما آية حبكم من بعدك ؟ قال : فوضع يده على رأس علي، وحوالي جنبه ، قال :"آية حبنا من بعدي ، حب هذا)،وكذلك الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤٦/١٠رواه أيضاً(عن أبي برزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة عن جسده فيما أبلاه، وعمره فيما أفناه ،وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت،قيل يا رسول الله :فما علامة حبكم؟، فضرب بيده على منكب علي رضي الله عنه)،كما رواه عن ابن عباس هو،والطبراني في المعجم الأوسط ١٥٥/٩-١٥٦ (عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفنى ،وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين كسبه، وعن حبنا أهل البيت)،وأيضاً في المعجم الكبير ٨٣/١١-٨٤ ،فسبحان الله أين أمانة النقل؟!.

٤- العمل؛ قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١]، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا﴾[٢]؛ بما يمنح فرصة كبيرة لتدوير عجلة العمل عامةً، وتنمية الموارد البشرية خاصةً؛ بعدما قدّم الضمانات اللازمة للانطلاقة الأولى؛ من خلال الجزاء والحساب، مما يُحدث انجذاباً نفسياً، وتعبئة جسدية للمضي قُدُماً نحو الإخلاص والعمل بمهنية، ولو برجاء الثواب، أو لتوقي العقاب.

وأنَّ هذا العمل عبادياً أم مهنياً-، قصدياً أم بدنياً، كفيلٌ بدفع الإنسان وتشجيعه على المواصلة؛ رغبةً أم رهبةً، كما يحافظ على ديمومة العمل التنموي، في مختلف قطاعاته، وبذلك تعمر الدنيا، وتدوم الحيوية.

(أ): وقد حرص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله على العمل بنفسه؛ فقد

١- سورة التوبة،الآية ١٠٥.

٢ - سورة الكهف،الآية٣٠.

قال صلى الله عليه وآله: (ما بعث الله نبياً إلا راعي غنم، قال له أصحابه: وأنتَ يـا رسـول الله؟!قـال: وأنـا، كنـت أرعاهـا لأهـل مكـة بالقراريط...)[١]، كما(أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله اشْتَرَى عِيراً أَتَتْ مِنَ الشَّامِ، فَاسْتَفْضَلَ فِيهَا مَا قَضَى دَيْنَه وقَسَمَ فِي قَرَابَتِه...)[٢]، بل لما(...كانت خديجة ابنة خويلد، امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه، ...فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت اليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج في مالها ذلك ومعه غلامها ميسرة، ...ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة

---

١ - سنن ابن ماجة ٧٢٧/٢ ،باب الصناعات، رقم٢١٤٩،طبقات ابن سعد ١٢٥/١.

٢ - الكافي ،الشيخ الكليني ٧٥/٥ ح٨.

ومعه ميسرة، ...فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به فأضعف أو قريباً...)[١].

(ب): كما حثَّ صلى الله عليه وآله على ممارسة العمل اليدوي- بما يشمل الصناعة والزراعة والرعي والحِرف والمهن الأخرى-؛ فقد فقال صلى الله عليه وآله : (**ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده...)**[٢]

(ت): ولم يكتف بذلك حتى أكد على تحسين نوعية المنتَج، وتفعيل دور السيطرة النوعية في ضمير العامل؛ فقد قال صلى الله عليه وآله : (**إنَّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أنْ يتقنه**)[٣]، أو (**ويحب الله العامل إذا عمل أن يتقن**)[٤]، وقال صلى الله عليه وآله : (**خير الكسب كسب العامل إذا نصح**)[٥]، أو(**يحب الله للعامل إذا عمل أن يُحسن**)[١].

---

١ - سيرة ابن اسحاق ٦٠ رقم ٥٨.

٢ - سنن ابن ماجة ٧٢٤/٢ رقم ٢١٣٨.

٣ - مسند أبي يعلى ٣٥٠/٧ رقم ٤٣٨٦، المعجم الأوسط ،الطبراني ٢٧٥/١.

٤ - مجمع الزوائد ،الهيثمي ٩٨/٤.

٥ - مسند أحمد ٣٣٤/٢.

(ث): بل حتى أنه صلى الله عليه وآله مارس ذلك بنفسه، ولم يكتف بالتنظير؛ وذلك أنَّه صلى الله عليه وآله : (**لَحَّدَ سعدَ بن معاذ وسوّى اللِبْنَ عليه، وجعل يقول: ناولني حجراً، ناولني تراباً رطباً، - يسد به ما بين اللِبْن -، فلما أنْ فرغ وحثا التراب عليه وسوّى قبرَهُ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لأعلم أنه سيبلى ويصل إليه البِلاء، ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملا أحكمه**)[٢]، مما يدل على جديةٍ في التنظير والتطبيق، حتى استعان بمؤثرات الترغيب والمحفزات النفسية، ليصل الى مراده في تصحيح خلل كبير يتهاون به الإنسان، مع أنَّ عواقبه سيئة جداً، ومن أضرِّها الفساد الإداري أو المهني أو المالي، وهو مضرٌ بالعباد ومدمِّر للبلاد؛ لتضاؤل نسبة الجودة النوعية أو انحسارها، وعندها لا تنجح برامج التنمية مهما خُطط لها، وعندها تزداد مسئولية الدولة في محاربة الفساد بأشكاله،

---

١ - المعجم الكبير،الطبراني ٢٠٠/١٩.

٢ - وسائل الشيعة،الشيخ الحر ٨٨٤/٢ ب ٦٠ ح٢،نقلاً عن أمالي الشيخ الصدوق ٤٦٨.

والتصدي لما يعيق التنمية البشرية؛ كون ذلك ضمن مسئوليتها العامة.

٥- التخطيط والإعداد الجيد للبرامج والخطط المستقبلية، وأنَّ نجاحها مرهونٌ بالاستعداد المناسب للعمل التنموي؛ لاعتماده أساساً على حُسن التدبير، و دراسة واقع الفرد والمجتمع، ثم تحليله بايجابياته وسلبياته، ومعالجة المشكلات القائمة، ودراسة التوقعات المستقبلية بالمقاييس العلمية، مع اقتراح الرؤى النافعة لذلك، كما يستفاد من قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ)[١]، بدون أنْ يعيق ورودُ الآية في الشأن الحربي، عن تعميم الاستفادة منها في غيره، بل كونها واردة في ذلك أدلّ؛ لأنه اذا كان التخطيط للحرب - وهو طارئ مؤقت -لازماً ومهماً، فهو للسِلْم ألزم وأهم؛ فللحرب والسلم ما يكتنفهما من طوارئ

---

١ - سورة الأنفال،الآية٦٠.

تضيق معها سبل الحياة، الأمر الذي يقضي بمزيدٍ من التدبير والتعاطي بحكمة؛ ولذا كان التخطيط متجلياً في ما اقتصه سبحانه من خبر النبي يوسف عليه السلام بقوله تعالى: (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلا قَلِيلا مِمَّا تَأْكُلُونَ)[1]، مما يبرز أهمية التخطيط المستقبلي وإعداد مراكز للدراسات؛ لأنَّه مهما كانت ضرورة توفير الأمن الغذائي لشعب واحد، في موقع محدد، فتأمين ذلك وسواه من أسباب التنمية البشرية، أكثر ضرورة لو كان للأكثر؛ لأهمية تأمين مستقبل شعوب دول العالَم جميعاً؛ فإنها تمثِّل المجتمع الإنساني، أو الناس في قوله صلى الله عليه وآله : (**خيرُ الناسِ مَنْ نَفَعَ الناسَ**)[2]، مما يحفز الإنسان أنْ يكون ايجابياً وفاعلاً في القضايا النوعية والعامة، ويحث على بذل أقصى الممكن من أجل تحقيق مصلحة مباحة لإنسان، بما يوفر غطاءاً شرعياً للتعاطي الايجابي مع الآخر، بشرط ألا يؤدي ذلك الى تجاوز الحدود الملزمة.

---

١ - سورة يوسف،الآية ٤٧.

٢ - شعب الإيمان،البيهقي ١١٧/٦ برقم٧٦٥٨.

٦- التمكين؛ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ**﴾[١]، بما يستبطن تهيئة السُبُل وتوفير المعدات لذلك، وإلا لما تمَّ التمكين، بينما أخبر تعالى بتحققه، فلا بد من وجود مستلزمات الاستقرار والقدرة على العمل التنموي بجميع مفاصله، وهذا أهم ما تفتقر اليه برامج التنمية البشرية.

٧- الاستخلاف؛ قال تعالى: { **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**}[٢]؛ بما يحفِّز الفرد لتحسين مستواه، وتحقيق النجاح لمجتمعه؛ لإيمانه الراسخ بتحقق الوعد الإلهي، الذي يمثِّل للمؤمن ضماناً مؤكداً لاستتباب الأمن، وحصول الاستقرار والرخاء، وتوافر مقوّمات النجاح، الأمر الذي يرفع من معنويات المضطهَدين، ويدعو للتفاءل، ويحفِّز للعمل والإبداع، ومحاولة التغلّب على عوامل الاضطهاد

---

١ - سورة الأعراف،من الآية ١٠.

٢ - سورة النور،من الآية ٥٥.

والتمييز العنصري، باستحداث فرص جديدة للنشاط والازدهار، وعدم الاستسلام للضغوط - مهما كانت مناشؤها-، بل العمل بالمتاح والممكن حتى انجاز الوعد؛ لتتواصل الجهود، وتتعاضد الكفاءات، وتتنامى الخبرات، من أجل الاستبدال بالأحسن، ولو طال الزمان، وهذه من خصائص التنمية البشرية وقدرتها على التأثير والإبداع.

٨- التسخير؛ قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾[١]، بما يمثّل تفعيلاً للتمكين في الأرض، وتكميلاً لدوره؛ حيث لا يتسنى العمل دون تيسير المعدات واتاحة الإمكانات، وهو ما تفضل سبحانه به؛ إذ أقدر الإنسان على الإفادة مما في السموات والأرض؛ لأنه تعالى{**هوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**}[٢]، واذا أساء الإنسان- أحياناً- استخدام الثروات والموارد الطبيعية، {**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي**

---

١ - سورة لقمان،من الآية ٢٠.

٢ - سورة الملك،الآية ١٥.

الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}[1]؛ فاستحالت المصادر الطبيعية الى تهديد حقيقي بكوارث وبراكين واحتباس حراري وتغيّر بيئي وأمراض مزمنة وغيرها، الأمر الذي يُلزم الجميع بالعودة الى الحكمة وحُسن التدبير؛ ليتحقق المرجو من التنمية البشرية.

٩- التذكير؛ قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[2]؛ حيث استدل تعالى بذلك لعباده على قدرته، وقدّم لهم البرهان، وأقام لهم الحجة؛ لئلا يفوت وقت التفكر والتأمل، ومراجعة الذات، وتصحيح العمل، بما تعنيه هذه الخطوات من جهد تنموي يبذله الإنسان بنفسه لنفسه في سبيل تحقيق النجاح، وانتهاز الفرصة المناسبة.

---

١ - سورة الروم،الآية ٤١.

٢ - سورة القصص،الآيتان ٧١-٧٢.

١٠- الإصلاح؛ من خلال مشاركة الفرد بإزاحة الشوائب، والعمل على فلترة المجتمع من مظاهر الفساد بأنواعه، فيكون الحراك عاماً، والتغيير شاملاً، حتى تسبق التنقيةُ التنميةَ؛ قال تعالى: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[1]، وإنَّ من أهم ركائز عملية الإصلاح، تهيئة كوادر تنشط مجتمعياً من أجل بلورة فكرة الإصلاح موقعياً، وإشاعة مفهومه بين الأفراد، ومراقبة تصرفاتهم العامة، ومدى تأثرها بالنظرية؛ لأنَّ نجاحها مرهونٌ بفاعلية الفرد نفسه، وانطلاقته في المجتمع، وحجم انجذاب المجموعة لقوة تأثير الفرد النتج عن إرادته القوية في تغيير البيئة العامة وتطويرها، بما يؤكد محورية الإنسان وأهمية دوره في خطوات البدء بالاصلاح؛ لتضمن أعلى نسبة نجاح ممكنة لخطط التنمية كافة، والا كانت شعارية أكثر منها واقعية، ومن هنا كان الخطاب في الإسلام منفتحاً على الإنسان الروح والجسد، وليس الجسد الهيكلي، المعبِّر عن تعاملٍ آلي غير متحرك بالإرادة المستقلة، بل المصادرَة

---

١ - سورة هود،الآية ٨٨.

والمستغلّة، ليتحول بفعل تأثير هذه السياسة الى متلقٍ متأثر مستهلك، بينما كان قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}[١]، خطاباً لعنصر منتج مؤثر مشارك في تقرير المصير، له أو مع غيره، وكذلك قوله سبحانه: {فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ}[٢]؛ حيث قدّم دعوة مفتوحة لدراسة واقع احتياجات الإنسان الأساس وكيف تتم تلبيتها آنياً، بمختلف الأصناف والأنواع والرغبات، ويتجلى الخطاب الباعث على التنمية؛ من خلال تحريك خلايا التفكير الواعي، بأسلوب حواري رقيق؛ قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾[٣]، ليعرف الإنسان طريق العودة والتوبة، بدلالته على انحرافه عن المسار الصحيح؛ حيث يعود العاقل الى مقتضيات عقله، ليجدها داعمة لخيار الارتباط مع الخالق الرازق تعالى، بما يعنيه من الاصلاح الجذري؛ فلذا يلزم أنْ يكون شاملاً ومستداماً،

---

١ - سورة العلق،الآية ١.

٢ - سورة عبس،الآية ٢٤

٣ - سورة الانفطار،الآيات ٦-٨.

فلا يقتصر على مجال دون آخر، علماً وعملاً، مع أولوية المعرفة في تنشيط عوامل التغيير وفاعليتها.

١١- الأمانة؛ بما تمثله من ضبط النفس والسيطرة عليها أمام مغرياتٍ تقود الى الخيانة، فهي من أهم خصائص التنمية البشرية ومداخلها؛ حيث لا تتم عملية التغيير الذاتي أو لدى الآخر ما لم تعتمد الأمانة كمنطلق أساس في توفير مناخ سليم من آفات الخيانة؛ ولذا قال صلى الله عليه وآله: (**لا إيمان لَمَنْ لا أمانة له**)[1]، (**مَنْ خان أمانة في الدنيا ولم يردها إلى أهلها ثم أدركه الموت مات على غير ملّتي، ويلقى الله وهو عليه غضبان**)[2]، (**الأمانة تجلب الغناء، والخيانة تجلب الفقر**)[3]، (**ليس منّا مَنْ يحقر الأمانة حتى يستهلكها إذا استودعها**) [4]، مما يؤصل الأمانة ويكشف عن دورها الأساس في ترسيخ الإيمان وتفعيله ميدانياً؛ الأمر الذي ينذر بخطورة

---

١ - مسند أحمد ١٣٥/٣،النوادر للراوندي ٩١.

٢ - الأمالي للشيخ الصدوق ٥١٦.

٣ - الكافي للشيخ الكليني ١٣٣/٥ ح٧.

٤ - مستدرك الوسائل للشيخ النوري ١٢/١٤ ح٢.

التفريط بها، مهما كان الدافع، والا كان خائنها مساوياً لغير المؤمن، ومستحقاً لحلول الغضب الإلهي- والعياذ بالله- عليه، فيخرج بذلك عن صفات المسلم، ويفتقر – مادياً أم معنوياً–، عاجلاً أو آجلاً، وهذا العقاب والآثار مما يفرِّمنها العاقل ويتفادى تبعاتها، ويفضِّل الأمانة؛ لأنَّ(الأمانة غنى، أي سبب الغنى؛ ومعناه أنَّ الرجل إذا عُرف بها كثُر معاملوه، فصار ذلك سبباً لغناه)[1]، كما كانت معياراً مهماً لتقييم أداء الفرد؛ حتى قال صلى الله عليه وآله: (**لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم، وكثرة الحج، والمعروف، وطنطنتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة**)[2]، بما يشير الى ضرورة الفصل بين القناعات الشخصية وما يتبعها من ممارسات، وبين مستوى الكفاءة والمهنية والنزاهة والتزام الأخلاق الحميدة، فالفرق بينهما كبير جداً؛ لفاعلية هذه الصفات في مختلف القطاعات الحياتية المتصلة بشئون أفراد المجتمع الآخرين، والذي بها تدور عجلة الحياة وتتقوم، بينما قناعات

١ – نهاية ابن الأثير ٧١/١.

٢ – الأمالي للشيخ الصدوق ٣٧٩ ح ٦ رقم ٤٨١.

الأشخاص وممارساتهم التي يُفترض أنها انعكاسة صادقة عما يؤمنون به، قد تتخلف في ميادين التجربة والتطبيق، كما أنها قضايا خاصة وليست بعامة، فيلزم الفصل بينهما، والتأكيد الدائم على لزوم التحلي بهما؛ إذ لا يغني أحدهما عن الآخر؛ فقد قال سبحانه: {قدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[١]؛ مادحاً المؤمنين على اتصافهم بالاستقامة الفردية، والارتباط الروحي، مع التأكيد المكرر عليه- أولاً وآخراً-، ولكنه لم يكتفِ بذلك، بل أولى عناية خاصة واهتماماً بيّناً، للنزاهة المجتمعية من خلال رعاية الإلتزامات مع الآخر- سواءاً بأداء الأمانة أم الوفاء بالعهد-؛ حتى ارتبط

١ - سورة المؤمنون،الآيات ١-١١.

استحقاق الفرد لأنْ يرث الفردوس ويخلد في الجنة، باستكمال الشروط المذكورة جميعاً، ويجمع بين العمل والعبادة الروحية والجسدية والمالية، وينزّه نفسه وأعضاءه عما لا يليق؛ مما يؤكد على ضرورة تحلي الفرد بذلك وانسجامه النفسي والعضوي معه، والا كان سلوكاً تُتقمّص من خلاله الأدوار وممارسة الازدواجية مع الآخر، لا يحاكي خصال الفرد نفسه.

١٢- المعرفة؛ لما تمثله من دور كبير في تحقيق التطوير الشامل، وتجذيره في الفرد والمجتمع؛ لأنها من مقومات الاستجابة التي تعتمد عليها التنمية أساساً؛ بعد ما كانت - الاستجابة - موجبة للسكون والطمأنينة[1]، فتستقر في نفس الفرد المبادئ والقيم التنموية، وهو ما يحتاج الى العلم كركيزة للتلقي والتفاعل؛ قال سبحانه: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لايَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ}[2]، متيحاً بذلك مساحة واسعة لتداول أسباب المعرفة والعلم، وتنشيط حركتهما وجعلهما منهجاً حياتياً

١ - ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٢٨١/٤.

٢ - سورة الزمر، الآية ٩.

تقوم عليه خطط التنمية البشرية، وبرامج الإصلاح كافة، ولو لم يدرك أهميتهما الا قليل، لكنه غير مضرٍ بشئ؛ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1]، مما يميز العلم ودوره في التأثير والتأثر، ويجعله سلّماً لتحقيق التنمية؛ ولذا فلأجل ضمان التعاطي المناسب مع مشروع التنمية البشرية، لابد من العمل الجاد على تيسير سبل التعليم والتعلّم؛ لأنَّ تفصيل الحقائق وتبيينها للذين يعلمون.

وإنَّ جميع هذه المفاهيم، مما تقرر حقيقة أنّ الإنسان قيمة كبرى ورصيد مجتمعي مهم؛ فلذلك أولاه الإسلام عناية فائقة؛ إذ سعى –بنصوصه القرآنية والنبوية–لترشيده فكرياً ونفسياً وجسدياً، وأراد له ومنه النهوض على أساس الالتزام الكامل بالمبادئ الحقة، لينطلق الفرد في عملية التأهيل الكبرى من نفسه، ثم ينتجه لمجتمعه؛ بعدما كان –الإنسان– خليفةَ الله تعالى في أرضه، فهو أول بذرة في حقل التنمية الشاملة، لغرس مفاهيم المحبةِ والأخوةِ،

---

١ – سورة يونس، الآية٣٥.

والشهامةِ والشجاعةِ، والصلاحِ والفلاحِ، وغيرِها مما يبلور الحالة الفضلى، وينشط خلاياها، ويفعّل دورها الذهبي في تكميل الإنسان وترصين سلوكه الشخصي والنوعي، مهيئاً صلى الله عليه وآله بذلك للإنسان فرصةً مناسبةً في ترتيب خياراته المتعددة وتنسيقها وفقاً للمقررات الصحيحة القويمة مما جاء به الثقلان –الكتاب والعترة- وأكدا عليه واهتما به؛ فاختار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لتنمية الإنسان ما يعزز في نفسه روح المثابرة والعمل، و يثير لديه طموحات التأثير في غيره؛ ليكون محوراً يستقطب الآخر، ويهتم بأمره، وتبدأ عندها أولى خطوات إصلاح المجتمع داخلياً.

كما اهتم صلى الله عليه وآله منذ البداية بتأسيس منظومة فكرية وأخلاقية متماسكة، من شأنها إحداث تغيير جذري في البنية العامة، مُرَسِخاً قيم الإنسانية، ومُرَشِداً لمفاهيم كثيرة مما ساد بين الناس قبله، فدعا الى مجتمع تسوده روح الأخوة والمودة، ونهى عن استغلال الآخر، وردع عن تغليب نزعات الأنا والمصالح، فيتحول الفرد الى آلة منتجة، أو أداة متحركة، كما حفّز مقومات الإرادة الكاملة للإنسان، وأودعه مزيداً مما يكسبه المناعة الذاتية

ضد ما يخترق إنسانيته من الداخل والخارج؛ لعلمه صلى الله عليه وآله بقوة تأثير المحيط والبيئة في الفرد، وسرعة تأثره بهما، فلم يشأ أنْ يُسلمه لوحده في معتركٍ تزدحم فيه الأحداث والحوادث، بل ساندَهُ وآزره، مبدياً كافة مظاهر الاهتمام والرعاية، وموفراً له ظروف الاستجابة الفاعلة لعوامل الإنقاذ وخطط الترشيد ومناهج التهذيب؛ مما يؤكد مواكبته صلى الله عليه وآله للمشكلة البشرية عن قرب، واتخاذه إجراءات الوقاية منها والسلامة فيها، وهذا ما كفل له فرصة نجاح أكبر مما اتخذته جهات أخرى؛ والسبب في ذلك- سوى المدد الغيبي- اهتمام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بتقويم مسيرة الإنسان لأنه إنسان دون غرض مادي آخر، بينما كان غيره يخطط للانتفاع منه أو ابتزازه كثروةٍ، والشواهد الحية على ذلك كفيلة بتصويب هذه النظرة أو تخطئتها؛ فلم تغب صور توريط الإنسان في الرذيلة؛ بحجة أنها وسيلة للشهرة أو الشهوة، كما لم تتوار عن مسرح الأحداث مناظر العنف؛ بذريعة القضاء على التطرف؛ فهذا وسواه أمارات تؤكد الحاجة الى الاحتكام لحاكمية الله تعالى، وضرورة الإلتجاء اليه في فصل الخصومات وفض

النزاعات البشرية، وهو ما أوضح تعالى سبيله بقوله: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ}[1] في إشارة واضحة لضرورة التلاحم العضوي مع مفردات الخطاب النبوي، وعدم الحياد عنه؛ فمخالفته منافاة واضحة للتقوى المأمور بها.

وأنَّ من بنود ما آتانا به الرسول صلى الله عليه وآله، تمتين أواصر العلاقة بين الأفراد، وترسيخ قيم المحبة في النفوس، وتأصيلها كواحدة من أهم المفردات في محيط الحياة؛ فقد رُوي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: (**خير الناس من نفع الناس**)[2]؛ منبهاً على ضرورة إشاعة مفاهيم التعاون والتآزر والعمل بروح الفريق الواحد، بما يحقق مضامين رسالة الإسلام؛ فقد رُوي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: (**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمُهُ، مَنْ كان في حاجة أخيه كان الله عز وجل في حاجته، ومَنْ فرّج عن مسلمٍ كربةً، فرّج الله عز وجل عنه بها كربةً من كُرَبِ يوم القيامة، ومَنْ ستر مسلماً ستره الله يوم**

١ - سورة الحشر، من الآية٧.

٢ - شعب الإيمان، البيهقي ٦/١١٧ برقم٧٦٥٨.

القيامة)[1]، ومَنْ انتهج الإسلام وتمّثله في حياته، فقد اتبع محمداً ﷺ، وضمن محبة الله تعالى ومغفرته له؛ قال تعالى حاكياً عن نبيه ﷺ: ﴿**فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾[2]؛ ليتجسد ارتباط إيماني محكم بين ثلاثية المرسِل والرسول والمرسَل اليه، وبهذا قد احتوى ﷺ ما للتنمية البشرية من تأثير على الإنسان؛ لتنمية قدراته و طاقاته الروحية والعقلية والنفسية و البدنية؛ فيواجه متغيرات الحياة، عبر نظرة عميقة حكيمة، ولا ينكص عنها، بل يتواصل مع الآخر؛ لأنهما سوياً في طريق التكامل والتغلب على معوقات العمل؛ بعـــدما أدركا ضرورة الإفادة من المواهب المتعددة، مضافاً الى استثمار المـــوارد والأنشطـة الاقتصادية المولِّدة للثروة والمحركة لعجلة الإنتاج؛ فتنمو قدرات المجتمع؛ عبر الاهتمام بتطوير هياكله البنيوية المؤسسية؛ لتتاح المشاركة لأوسع قاعدة جماهيرية في التنمية.

---

١ - مسند أحمد ٢ /٩١،ونحوه في عوالي اللئالي – الأحسائي ١٢٨/١.
٢ - سورة آل عمران، من الآية٣١.

وأنَّ مفهوم(**خير الناس مَنْ نفع الناس**)[1]، مما يعمل على تنمية الإنسان و تفعيل طاقاته الإبداعية، وتنشيط قدراته في الإنتاج والإعمار، لكن بدون الفصل بين الجانب الإيماني الروحاني عن البدني المادي؛ لما يشكلان من أطار عام يتحرك من خلاله الإنسان، فهو بحاجة الى تنميته فكرياً وصحياً ومهنياً وأُسرياً واجتماعياً؛ بحيث أنَّ بعضها لا يحقق الاستقرار المنشود، الذي حرصت الدراسات والبحوث والمؤتمرات على تحقيقه، والسر في ذلك؛ كون الإنسان خليفة الله تعالى في بلاده وبين عباده، فيجب التعاطي مع مشكلاته كوحدة مترابطة غير قابلة للتجزئة، وتُقترح الحلول في ضوء ذلك، و ليس بنظرة أحادية تجتزأ الوحدة المكونة من الروح والجسد، والذي بهما كان الإنسان إنساناً، يسعى نحو التكامل، ويحرص على تحقيق هدفه في الوصول إلى ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]؛ لأنه ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

---

١ - شعب الإيمان، البيهقي ٦/١١٧ برقم٧٦٥٨.

٢ - سورة آل عمران، من الآية ١٣٣.

إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1]، والعاقل لا يفوّت دائماً بزائل، نعم يتعاطاه بقدر دفع ضرورته، ثم ينصرف عنه الى ماهو الأبقى، وبناءاً على هذا فسائر أهداف الإنسان في الحياة، لابد من تكييفها مع هذا الهدف؛ فالحصول على المال كهدف مثلاً، لابد من انسجامه مع غاية الوصول للجنة، وهكذا الجاه والسلطة وسواهما من أهداف، يلزم تناسقها مع المقاييس والضوابط الثابتة؛ لئلا تتحول الى عقدة، بعدما كانت حلاً، فلا يطلب الإنسان تطوير نفسه بما لا يتفق مع الثوابت العقلية أوالشرعية، بل عليه التأقلم معهما؛ ليضمن نجاته اللازم عليه -عقلاً- تحصيلها.

---

١ - سورة العنكبوت،الآية ٦٤.

المطلب الثاني

تطبيقات تنموية صادقية

إنَّ المستقرئ لمراحل سير المدرسة الصادقية المباركة، يجد بوضوح اجتيازها لكثير من العقبات، التي اعترضت ديمومة مسيرتها العلمية، وهدفت الى تعطيل دورها في المجتمع؛ فقد تغلبت على جميع ذلك وسواه:

أولاً: بعناية الله تعالى وحفظه لهذا الخط الأصيل، المجسِد للإسلام بنقائه وسمو أهدافه، الحافظ لجهود النبي الأعظمﷺ في استصلاح الناس، وترشيد أفكارهم وعاداتهم، وحثهم على التمسك بما لديهم من محاسن ومكارم.

وثانياً: للمنهجية الإنسانية التي اتبعها الإمام الصادقعليه السلام في تعامله مع قاصديه من رواة أو سائلين؛ فقد اعتنى بالإنسان وانفتح نظرياً وتطبيقياً على ما يدعم وجوده المعرفي، وغذّاه بما يلزمه، ولم ينكمش عن أحد أينما كان وأنّى كان، بسبب اختلافه

معه، بل سادت تعاملَه روح الإنسانية؛ مما يعني أنه عليه السلام يهتم باستصلاح النفوس، و تنمية قابلياتها، وتزويدها بما تحتاجه من أسباب الرقي والتفاعل مع الأمم الأخرى، التي تلتقي معها في مفردات حياتية كثيرة، لا يمكن تجاوزها أو إلغاؤها، مما يُلزم باتباع وسائل حكيمة في التواصل معها، بدون الذوب في مفاهيمها أو قيمها، بل مع الاعتزاز بالانتماء والأصالة، لاسيما وأنَّ للمسلمين ما يغنيهم عن الاستغراق مع غيرهم بما يفقدهم أصالتهم، أو يبعدهم عن أصولهم.

وهذا ما أتاح لكثيرٍ التعاطي مع الإمام الصادق عليه السلام، والانتظام في مدرسته الفكرية، وإنْ لم يعتقدوا ببعض أُسسها وعقائدها؛ حيث وجدوا فيها ما افتقدوه في غيرها؛ من غزارة العلم والمعرفة والإنصاف في المحاورة، وهي خصائص إنسانية بحتة؛ فجذبتهم تلك الأخلاق والخصال، وشدتهم اليها، ووظّفت منهم مخبرين عن فضلها وامتيازها، كما يأتي الحديث عن نماذج منهم لاحقاً إن شاء الله تعالى.

وقد تجسدت عناية الإمام الصادق عليه السلام بتأصيل الجانب الإنساني، في عدة مواقف، لايغيب عنها عاملا التعليم والتوجيه؛ مما يؤكد حرصه على تماسك أواصر الصلة بينه وبين الإنسان الآخر، واهتمامه بإثرائها وتنميتها وإشاعة أجواء الأُلفة وشعور الآخر بحاجته المتزايدة لهذا المعلّم المفيد وما يلقنه من علم وخبرة؛ فقد عزَّا عند آخرين، ممَنْ تصدوا للرواية والتعليم؛ فكان ذلك خير ما يعلن عن تفرد الإمام الصادق عليه السلام بالزعامة علماً وعملاً، وإنْ أدّعى غيره ما ادعاه، كما كان من أفضل وسائل التعريف الهادئ الهادف الذي لا يثير شبهة أو لغطاً؛ فبالعلم تجتمع الأقطاب المتخالفة وتنسجم الرؤى المتباعدة؛ لقوة سلطانه وتأثيره، بما يبدد من مخاوف الغلبة أو غيرها؛ وكان من بين أولئك المتلقين:

١- عبد الكريم بْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ[1]، مع ما يحمله من أفكار متطرفة معارضة للمنظومة الدينية برمتها؛ حيث خاطب الإمام

---

[1] - وهو:(زنديق مغترّ)،لسان الميزان - ابن حجر ٤ /٥١،(منْ تَلَامذَة الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ فَانْحَرَفَ عَنِ التَّوْحِيدِ،...قَدِمَ مَكَّةَ مُتَمَرِّداً وإِنْكَاراً عَلَى مَنْ

الصادق عليه السلام بقوله: (**يَا أَبَا عَبْدِ اللَّه ...إِلَى كَمْ تَدُوسُونَ هَذَا الْبَيْدَرَ وتَلُوذُونَ بِهَذَا الْحَجَرِ، وتَعْبُدُونَ هَذَا الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ بِالطُّوبِ والْمَدَرِ، وتُهَرْوِلُونَ حَوْلَه هَرْوَلَةَ الْبَعِيرِ إِذَا نَفَرَ، إِنَّ مَنْ فَكَّرَ فِي هَذَا وقَدَّرَ، عَلِمَ أَنَّ هَذَا فِعْلٌ أَسَّسَه غَيْرُ حَكِيمٍ ولا ذِي نَظَرٍ، فَقُلْ فَإِنَّكَ رَأْسُ هَذَا الأَمْرِ وسَنَامُه، وأَبُوكَ أُسُّه وتَمَامُه**)[1].

٢- وأبو حنيفة، وهو القائل: (وما يعلم جعفر بن محمد، أنا أعلم منه، أنا لقيت الرجال وسمعت من أفواههم، وجعفر ابن محمد صحفي أخذ العلم من الكتب)[2]؛ لكنه -الإمام

يَحُجُّ،وكَانَ يَكْرَه الْعُلَمَاءُ مُجَالَسَتَه ومُسَائَلَتَه؛لِخُبْثِ لِسَانِه وفَسَادِ ضَمِيرِه)،الكافي ٤/١٩٧ ح١.

١ - الكافي ٤/١٩٧ ح١.

٢ - علل الشرائع،الشيخ الصدوق ١/٨٩ ح٥،الاحتجاج،الطبرسي ٢/١١٠،وفيهما أنه لّما أُخبر الإمام الصادق عليه السلام بذلك: >فضحك ثم قال:أما في قوله: انى رجل صحفي،فقد صدق؛قرأت صحف آبائي إبراهيم وموسى،...قال-الراوي-:فما لبثت أن طرق البابَ طارقٌ،وكان عنده جماعة من أصحابه،فقال للغلام انظر مَنْ ذا ؟،فرجع الغلام فقال: أبو حنيفة، قال عليه السلام أدخله،فدخل فسلم على أبى عبد الله عليه السلام فردَّ عليه، ثم قال:-أبوحنيفة- أصلحك الله أتأذن في القعود ؟،فأقبل عليه السلام على أصحابه

يحدثهم ولم يلتفت إليه، ثم قال الثانية والثالثة ،فلم يلتفت إليه، فجلس أبو حنيفة من غير إذنه ،فلما علم عليه السلام أنه قد جلس التفت إليه فقال: أين أبو حنيفة ؟ فقيل:هو ذا أصلحك الله،فقال:أنت فقيه أهل العراق ؟ قال:نعم،قال عليه السلام:بما تفتيهم ؟ قال:بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله،قال عليه السلام:يا أبا حنيفة تعرف كتابَ الله حقَّ معرفته،وتعرف الناسخَ والمنسوخَ ؟ قال نعم،قال عليه السلام:يا أبا حنيفة لقد ادعيت علماً،ويلك ما جعل اللهُ ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أُنزل عليهم،ويلك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا صلى الله عليه وآله،ما ورّثك اللهُ من كتابه حرفاً ؛فإن كنتَ كما تقول - ولستَ كما تقول- فأخبرني عن قول الله عز وجل:(سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين) أين ذلك من الأرض؟ قال:أحسبه ما بين مكة والمدينة،فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابه فقال:تعلمون ان الناس يقطع عليهم بين المدينة ومكة فتؤخذ أموالهم ولا يؤمنون على أنفسهم ويقتلون ؟ قالوا نعم ، قال: فسكت أبو حنيفة ،فقال يا أبا حنيفة أخبرني عن قول الله عز وجل:(ومَنْ دخله كان آمناً) أين ذلك من الأرض ؟ قال : الكعبة، قال أفتعلم ان الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير في الكعبة فقتله كان آمنا فيها ؟ قال:فسكت، ثم قال له يا أبا حنيفة، إذا ورد عليك شئ ليس في كتاب الله ولم تأت به الآثار والسنة كيف تصنع ؟ فقال أصلحك الله:أقيس وأعمل فيه برأيي،قال يا أبا حنيفة : ان أول مَنْ قاس إبليس الملعون؛قاس على ربنا تبارك وتعالى فقال:(أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)فسكت أبو حنيفة ، فقال يا أبا حنيفة أيما أنجس البول أو الجنابة ؟ فقال البول ، فقال :فما بال الناس يغتسلون من الجناية ولا يغتسلون من البول ؟ فسكت ، فقال

يا أبا حنيفة أيما أفضل الصلاة أم الصوم ؟ قال الصلاة ، قال : فما بال الحايض تقضى صومهاولا تقضى صلاتها ؟ فسكت ، فقال يا أبا حنيفة : أخبرني عن رجل كانت له أم ولد، وله منها ابنة،وكانت له حرة لا تلد، فزارت الصبية بنت أم الولد أباها ، فقام الرجل بعد فراغه من صلاة الفجر ، فواقع أهله التي لا تلد وخرج إلى الحمام فأرادت الحرة أن تكيد أم الولد وابنتها عند الرجل فقامت إليها بحرارة ذلك الماء فوقعت عليها وهي نائمة ، فعالجتها كما يعالج الرجل المرأة ، فعلقت ، أي شئ عندك فيها ؟ قال : لا والله ما عندي فيها شئ ، فقال يا أبا حنيفة : أخبرني عن رجل كانت له جارية فزوجها من مملوك له وغاب المملوك ، فولد له من أهله مولود وولد للمملوك مولود من أم ولد له فسقط البيت على الجاريتين ومات المولى ، من الوارث ؟ فقال جعلت فداك : لا والله ما عندي فيها شئ ، فقال أبو حنيفة : أصلحك الله إن عندنا قوماً بالكوفة يزعمون انك تأمرهم بالبراءة من فلان وفلان و فلان فقال :ويلك يا أبا حنيفة لم يكن هذا ، معاذ الله فقال أصلحك الله : انهم يعظمون الامر فيهما ، قال : فما تأمرني ؟ قال : تكتب إليهم ، قال : بماذا ؟ قال :تسألهم الكف عنهما ، قال : لا يطيعوني ، قال : بلى أصلحك الله إذا كنت أنت الكاتب وانا الرسول أطاعوني ، قال يا أبا حنيفة أبيت إلا جهلاً، كم بيني وبين الكوفة من الفراسخ ؟ قال أصلحك الله مالا يحصى،فقال: كم بيني وبينك ؟قال: لا شئ ، قال: أنت دخلت عليَّ في منزلي فاستأذنتَ في الجلوس ثلاث مرات فلم آذن لك ، فجلستَ بغير إذني خلافاً عليَّ، كيف يطيعوني أولئك وهم هناك وأنا هاهنا ؟ قال: فقبّل رأسه وخرج وهو يقول : أعلم الناس ،ولم نره عند عالم ، فقال أبو بكر

الصادق-عليه السلام لم يزد على تنبيههما لما أخطئا فيه؛ بأسلوب علمي مؤثر؛ معتمداً طريقة الحوار؛ ليؤشر على خطورة تلك النزعة، وما تفرزه من تسطيح للحقائق، وتزييف للمبادئ، مما يُخشى من تبعاته وآثاره، فأجاب عليه السلام :

- أبن أبي العوجاء بما يقيم له أو عليه الحجة -سواءاً أكان جاهلاً أم معانداً-؛ فقال عليه السلام: (**هَذَا بَيْتٌ اسْتَعْبَدَ اللّه بِه خَلْقَه لِيَخْتَبِرَ طَاعَتَهُمْ فِي إِتْيَانه، فَحَثَّهُمْ عَلَى تَعْظِيمه وزِيَارَته، وجَعَلَه مَحَلَّ أَنْبِيَائِه وقِبْلَةً لِلْمُصَلِّينَ إِلَيْه، فَهُوَ شُعْبَةٌ مِنْ رِضْوَانِه، وطَرِيقٌ يُؤَدِّي إِلَى غُفْرَانِه، مَنْصُوبٌ عَلَى اسْتِوَاءِ الْكَمَالِ ومَجْمَعِ الْعَظَمَةِ والْجَلَالِ، خَلَقَه اللّه قَبْلَ دَحْوِ الأَرْضِ بِأَلْفَيْ عَامٍ، فَأَحَقُّ مَنْ أُطِيعَ فِيمَا أَمَرَ وانْتُهِيَ عَمَّا نَهَى عَنْه وزَجَرَ اللّه الْمُنْشِئُ لِلأَرْوَاحِ والصُّوَرِ**)؛ مستدلاً له على لزوم العبادة؛ أداءاً لواجب شكر

الحضرمي: جعلت فداك الجواب في المسألتين، فقال: يا أبا بكر سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ، فقال : مع قايمنا أهل البيت ، وأما قوله وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً، فمَنْ بايعه ودخل معه ومسح على يده ودخل في عقد أصحابه كان آمِناً).

المنعم؛ إذ خلق تعالى الخلقَ وأوجدهم وصوّرهم فأبدع صورَهم؛ بما يُلزمهم عقلاً بشكره، وليس من سبيل لذلك الا بالعبادة والطاعة، محذِّراً أياه من مغبة العناد والإصرار عليه.

- كما أجاب أبا حنيفة بطريقة لبقة ذكية تنتزع جذور الغرور من النفس قائلاً له: (**أنت فقيه أهل العراق ؟ قال: نعم، قال عليه السلام: بما تفتيهم ؟ قال: بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام: يا أبا حنيفة تعرف كتابَ الله حقَّ معرفته، وتعرف الناسخَ والمنسوخَ ؟ قال نعم، قال عليه السلام: يا أبا حنيفة لقد ادعيت علماً، ويلك ما جعل اللهُ ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أُنزل عليهم، ويلك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا صلى الله عليه وآله، ما ورّثك اللهُ من كتابه حرفاً...**)[١]؛ ليفنِد بذلك دعواه - أنه الأعلم وقد تلقى العلم من أفواه الرجال- بأسلوب علمي رصين؛ من خلال تأكيده عليه السلام على عدم تيسر أسباب فتح تلك الخزائن لكل أحد، لأنها عصية الا لَمَنْ خصه اللهُ تعالى بذلك، وهم الذين أنزل عليهم كتابه الكريم، ولم يكن المدّعي منهم قطعاً.

---

١ - المصدر نفسه.

وبهذا يكون الإمام الصادق عليه السلام قد حقق أكثر من منجز:

- محافظته على الأصالة المعرفية، وعدم فسح المجال لاغتيالها.
- وتأكيده على أهمية الالتزام بقواعد إثبات المؤهل والكفاءة، عبر الاحتكام للمعايير العلمية، واتباع الآليات المعتمدة، دون اللجوء للانتحال أو التطاول على السابقين؛ لمنافاة ذلك للذوق السليم، وهو ما يجب التخلي عنه، والتحلي بالتواضع وعرفان الجميل لأهله؛ إذ لا يلبي القفز على جهود الآخرين طموحاً ولا يحقق مكسباً.
- وتصديه المباشر لمحاولات التسطيح العلمي، وتحذيره الصريح للمتهاونين في ذلك من سوء ما يلقون في الدنيا والآخرة.

وبذلك قد تجلت إنسانية المدرسة الصادقية المباركة؛ حيث:

١. لم يهمل الإمام الصادق عليه السلام أحداً بسبب اختلاف أو انحراف.

٢. بل أفاض من علومه على الجميع حسب استعدادهم وطاقاتهم الاستيعابية؛ فقد أنتج معرفياً ما يفتح أمام الأمة الآفاق،

ويحقق طموحات الوصول، ومن شواهد ذلك ما رُوي عنه في مجالات متنوعة من تفسير القرآن المجيد، أو العقائد، أوالأخلاق، أوالفقه، أو العلوم والتخصصات الأخرى، مما أثرى الفرد-لو يلتزم بها-، وفتح أمامه الآفاق واسعة، ليتطلع من خلالها الى فضاءات معرفية مترامية، يستزيد من خلالها فكراً نقياً، وثقافة أصيلة؛ كونهما صدرا من منبعٍ صافٍ، غير مشوب بالشوائب؛ ولذلك ما زال متدفقاً بما ينفع الناس؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[1]، وكفى بها ضماناً لديمومة العطاء واستمراره بإذن الله تعالى .

٣. كما أهتم بالتوجيه الى ما فيه سلامة الدنيا والآخرة؛ فوازن بين اتجاهَي العلم والعمل، ولم يقتصر على أحدهما، ليؤكد ضرورة المحافظة على تفعيل دورهما، وألا يُهمل الإنسان الدنيا؛ لأنه كما قال الإمام الصادق عليه السلام (**نِعْمَ الْعَوْنُ الدُّنْيَا عَلَى**

---

١ - سورة الرعد،من الآية ١٧.

الآخِرَةِ﴾[1]، كما عليه ألا يعوّل على ما زرعه، مالم يطمئن الى حصاده في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿**وَالآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾[2]، والعاقل لا يفرط بالأبقى من أجل المتحوّل؛ بما يحقق له التواصل، ويضمن النجاح، الذي هو الهدف من التنمية البشرية، والضامن لديمومتها.

٤. بل قد هدف الى تعزيز روح العطاء والمثابرة في الفرد، وتشجيعه على التطوير ضمن مقاييس الثوابت العامة، بدون التفريط بشئ منها؛ حيث لا يعيق الماضي حراك الحاضر، بل تتسنى الإفادة من ايجابيات كل مرحلة وتوظيفها بما ينفع الإنسان مهما كان، وقد حرص عليه السلام شخصياً على اتباع هذا المنهج؛ عندما لم يضق ذرعاً حتى بخصومه ومعانديه، فأتاح لهم التلقي منه والرواية عنه عليه السلام، بما أفشل خطط التضييق والحصار على الإمام الصادق عليه السلام؛ إذ أشرك بعضَ المخططين أو المنفذين لذلك، في مشروعه النهضوي لنشر الفكر والمعرفة؛ حتى كان الخليفةُ

١ - الكافي- الشيخ الكليني٥ / ٧٢ ح ٨.
٢ - سورة الأعلى،الآية ١٧.

العباسي وبعضُ موظفي بلاطه من رواة الحديث عنه عليه السلام[1]، ولما كان الحديث رافداً معرفياً مهماً، فقد أتاحت تلك التعددية للفكر

---

١ – ذكر الشيخ الطوسي في كتاب الرجال ٢٢٩ رقم ﴿ ٣١٠٢ ﴾ ١١ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام(عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، أبو جعفر المنصور).

كما ذكر النجاشي في كتاب الرجال ٢٩٤ رقم ﴿ ٧٩٦ ﴾:(عيسى بن روضة،حاجب المنصور كان متكلما جيد الكلام،وله كتاب في الإمامة،وقد وصفه أحمد بن أبي طاهر في كتاب بغداد ، وذكر أنه رأى الكتاب).

كما روى الشيخ الصدوق في كتاب عيون أخبار الرضا ٢٧٣/١ رقم ٦٤ (...قال:حدثنا الحسن بن الفضل أبو محمد مولى الهاشميين بالمدينة قال : حدثنا علي بن موسى بن جعفر بن محمد عن أبيه عليهم السلام قال:ارسل أبو جعفر الدوانيقي إلى جعفر بن محمد عليهما السلام ليقتله وطرح له سيفاً ونطعاً،وقال للربيع:إذا انا كلّمته ثم ضربت بإحدى يديّ على الأخرى فاضرب عنقه،فلما دخل جعفر بن محمد عليه السلام ونظر إليه من بعيد...فلما خرج قال له الربيع:يا أبا عبد الله أرأيت السيف إنما كان وضع لك والنطع فأي شئ رأيتك تحرك به شفتيك ؟ قال جعفر عليه السلام:نعم يا ربيع...قلت:حسبي الرب من المربوبين وحسبي الخالق من المخلوقين وحسبي الرازق من المرزوقين وحسبي الله رب العالمين حسبي من هو حسبي حسبي من لم يزل حسبي حسبي الله لا اله إلا هو عليه توكلت وهو

الملتزم انتشاراً ورواجاً كبيرين، لا يكاد يحصلا ما لم يتبع الإمام الصادق عليه السلام أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ومقارعة الدعوى بالحجة والبرهان، وعدم اللجوء لغيرها من أساليب الرد الأخرى.

٥. فحقق عليه السلام ما يريده من هداية الناس في ظل تصاعد وتيرة الأحداث والتهديدات المضيِقة على تحركاته ونشاطاته العامة[١]، و مارس –ضمن المتاح- دورَه المعرفي والثقافي، بما خرّج

رب العرش العظيم)،فكان الربيع الحاجب بهذا راوياً عن الإمام الصادق عليه السلام ؛كما عدّه الشيخ الطوسي في كتاب الرجال ٢٠٤،رقم٢٦١١- ١٦.

١ - روى أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين ٢٣٣ ،ط ١٣٨٥،٢هـ المكتبة الحيدرية- النجف الأشرف: عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:(حُسِرْنا عن المدينة ، ولم يُترك فيها منّا محتلم ، حتى قدمنا الكوفة ، فمكثنا فيها شهرا نتوقع فيها القتل، ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال : أين هؤلاء العلوية ؟ أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى،قال : فدخلنا إليه أنا والحسن بن زيد ، فلما صرت بين يديه قال لي : أنت الذي تعلم الغيب ؟ قلت : لا يعلم الغيب إلا الله . قال : أنت الذي يجبى إليك هذا الخراج ،قلت : إليك يجبى - يا أمير المؤمنين – الخراج،قال : أتدرون لم دعوتكم ؟ قلت : لا ،قال : أردت أن أهدم رباعكم ، وأروع قلوبكم ، وأعقر نخلكم ،

مجاميع الرواة عنه من مختلف التوجهات، حتى (نقل النَّاس عَنهُ من الْعُلُوم مَا سَارَتْ بِهِ الركْبَان، وانتشر صيته فِي جَمِيع الْبلدَانِ، وروى عَنهُ الأَئِمَّة الأكابر كيحيى بن سعيد وَابْن جريج

وأترككم بالسراة ، لا يقربكم أحد من أهل الحجاز ، وأهل العراق ، فإنهم لكم مفسدة).

وأيضاً روى المتقي الهندي في كنز العمال٢ /٦٦٢ رقم ٥٠١٤ عن الربيع(قال : قدم المنصور المدينة فاتاه قوم فوشوا بجعفر بن محمد ...فقال : يا ربيع ائتني بجعفر إبن محمد ، قتلني الله إن لم أقتله ...) .

كما روى ابن شهر آشوب في كتاب مناقب آل أبي طالب ٣١٤/١١، ط المحققة ، المكتبة الحيدرية ١٤٣٢هـ :(ان المنصور قد كان همَّ بقتل أبي عبد الله عليه السلام غير مرة ،فكان إذا بعث إليه ودعاه ليقتله فإذا نظر إليه هابه ولم يقتله،غير أنه منع الناس عنه ومنعه من القعود للناس ،واستقصى عليه أشد الاستقصاء حتى أنه كان يقع لأحدهم مسألة في دينه في نكاح أو طلاق أو غير ذلك، فلا يكون علم ذلك عندهم ولا يصلون إليه، فيعتزل الرجل وأهله فشق ذلك على شيعته وصعب عليهم حق القي الله عز وجل في روع المنصور أن يسأل الصادق ليتحفه بشئ من عنده لا يكون لاحد مثله فبعث إليه بمخصرة كانت للنبي صلى الله عليه وآله طولها ذراع ففرح بها فرحا شديدا وأمر أن تشق له أربعة أرباع وقسمها في أربعة مواضع ، ثم قال له : ما جزاؤك عندي إلا أن أطلق لك وتفشي علمك لشيعتك ولا أتعرض لك ولا لهم، فاقعد غير محتشم وأفت الناس ولا تكن في بلد أنا فيه) .

والسفيانين وَأبي حنيفَة وَشعْبَة وَأَيوب السّخْتِيَانِيّ)[1]، وقد ساعدهم اختلافهم البلداني والمهني هذا، على التواصل مع مختلف الطبقات، ونشرهم ما تعلموه من الإمام الصادق عليه السلام وبثه بين مختلف المستويات؛ لما لهذه التعددية المتنوعة من طبيعة توجب التماس المباشر بين الرواة وغيرهم من سائر أفراد المجتمع.

٦. لينجح عليه السلام بذلك في غرس أصول التنمية البشرية في مجتمعه آنذاك، وجعلها قابلة للنمو عبر الأجيال المتتالية، وتغذية ما سبقه اليه آباؤه المعصومون عليهم السلام؛ بالتأكيد المستمرعلى ضرورة تمثّل المفاهيم السليمة في المجتمع، وتوعية الناس على ضرورة التمسك بها، وعدم التخلي عنها؛ انسجاماً مع بعض العادات المتغيّرة، بل الدفاع عن جميع ما يتمثل به الحق في مواقعه كافة، وإبطال شبهات المشككين، ومحاورة المعترضين، مع الجدّ في اقناعهم بسمو الهدف، والتطبيق لأحكام الله تعالى، والتي هي متناسقة مع مقتضيات الفطرة السليمة ومنسجمة معها، وعدم الحياد عن منهج

---

١ - الصواعق المحرقة – ابن حجر ٥٨٦/٢ ط ١ مؤسسة الرسالة –لبنان ١٩٩٧م.

القرآن الكريم؛ {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}[1]، وأن ذلك من السبل المستقيمة والمستقرة لتحقيق السعادة في الدارين، بخلاف رؤى مادية أخرى، تتخلى عن أصحابها في أول منعطف، ولاتحميهم من شرٍّ ما يحدق بهم، مما تعصف به عاديات الدنيا، وهي كُثُر.

٧. وليؤكد عليه السلام أنَّ مدرسته امتدادٌ لما شاده جده المصطفى صلى الله عليه وآله من أسس أصّل من خلالها لإنسان يتكامل بنيوياً، بالمعرفة المرتبطة بالأخلاق وثيقاً، بحيث متى ما أنفكا تهدلا ولم يؤتيا ثمارَهما، أو يتضاءل تأثيرهما جداً حتى يفقدا المحتوى؛ وذلك لأنَّه حسب ما قَال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، والْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَه وإِلاَّ ارْتَحَلَ عَنْه)[2]، بما يدل على ضرورة تبني خيار التطبيق العملي وعدم الاكتفاء بالتسليم القلبي؛ إذ ما لم ينفتح الفرد على العمل ومجالاته الفاعلة، لا يتمكن من تحقيق منجَز محسوس، ويبقى الحديث عن

---

١ - سورة فصلت،من الآيتين ٤١-٤٢

٢ - نهج البلاغة ٥٣٩،الحكمة ٣٦٦.

آمال وتصورات، تحتمل التحقق والإخفاق، فلكَي تتأمن وتُعد حقيقة لا خيالاً، لا محيص عن تنفيذها والسعي الحثيث في سبيل ذلك، الأمر الذي يؤدي الى بناء الإنسان وتقويمه فكرياً ونفسياً وجسدياً، لذاته ولغيره، بما يشكّل واحدةً من مرتكزات التنمية البشرية القائمة على(توسيع اختيارات الشعوب، و...أن يتمتع الإنسان بمستوى مرتفع من الدخل وبحياة طويلة وصحية، بجانب تنمية القدرات الإنسانية من خلال توفير فرص ملائمة للتعليم)[١]؛ حيث يسعى التنمويون الى تطوير الكفاءات البشرية وتحسين أدائها، بصورة شاملة، في مختلف الميادين الحياتية، مما يمثل مقاربة تصحيحية متتالية على مدى الزمان ومختلف المكان، وصولاً للأفضل، وهو ما ابتغاه المعصوم عليه السلام في حثه على المقارنة بين العلم والعمل، وعدم التخلي عن أحدهما، وإلا كان التيه والضلال؛ تأكيداً منه عليه السلام على أهمية العلم والمعرفة في نشوء الإنسان و رُقي المجتمع، وتأصيلاً لمفهوم العمل في عملية البناء والتطوير، وأنه الركن الوثيق لذلك، الذي لولاه لما أثر غيره.

---

١ - الموسوعة الحرة ،ويكيبيديا،تنمية بشرية .

وإنَّ مما يجسد فعلاً ما للإنسان في مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام من مكانة متميزة؛ هو الاهتمام الواضح بالإعداد الجيد والمتين، بما يتناسب مع مشروع استخلاف الانسان في الأرض؛ فكان:

١- الحث على المبادرة للتحصيل العلمي، في قول الإمام الصادق عليه السلام: (**سارعوا في طلب العلم، فو الذي نفسي بيده لحديثٌ واحدٌ في حلال وحرام تأخذه من صادقٍ خيرٌ من الدنيا وما حملت من ذهب وفضة**)[1].

٢- والحث على الالتزام بأخلاقية العلم وما يفرضه على حامله من آداب؛ قال الإمام الصادق عليه السلام: (**تواضعوا لَمنْ تتعلمون منه، وتواضعوا لَمنْ تُعلمون**)[2]، بما يعتبر رسالة واضحة في ألا يتوهم أحدٌ خيراً في التكبر والتفاخر والتعالي مطلقاً، معلِماً أو

---

١ - مشكاة الأنوار، الطبرسي ٢٣٦ رقم ٦٧٣، بينما رُوي في المحاسن ٢٢٧/١ رقم ١٥٦، و وسائل الشيعة ٦٩/١٨ ح٦٨ عن الإمام الباقر عليه السلام، وهذا الاختلاف مما لا يؤثر سلباً على حجية النص وصحة الاستدلال به.

٢ - مشكاة الأنوار، الطبرسي ٢٤٢ رقم ٧٠١.

متعلماً أو غيرهما؛ لافتقاد ذلك أية قيمة تذكر، بينما يدل التواضع على نضج وحكمة واتزان.

٣- والاهتمام بالتدوين والتوثيق؛ لما يحققانه من آثارٍ كبيرة ذات قيمة عالية في عملية حفظ التراث؛ فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: (**اكْتُبْ وبُثَّ عِلْمَكَ فِي إِخْوَانِكَ، فَإِنْ مِتَّ فَأَوْرِثْ كُتُبَكَ بَنِيكَ؛ فَإِنَّه يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانُ هَرْجٍ لَا يَأْنَسُونَ فِيه إِلاَّ بِكُتُبِهِمْ**)[1]، مما يؤكد دور التدوير المعرفي بين أفراد المجتمع، وأنَّ المسئولية تضامنية بين جميع الأطراف، وعليهم النهوض بها، فحيث بدأت بالتدوين، لابد أنْ يستمر تدويرها، فيتعاهدها الجميع بالعناية والاهتمام المتواصل.

٤- والحرص على الجمع العملي بين النظرية والتطبيق؛ فقال الإمام الصادق عليه السلام: (**لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفة، ولا يقبل المعرفة إلا بعمل، فمَنْ عرف دلّته المعرفةُ على العمل، ومَنْ لم يعمل فلا معرفة له، إنَّ الإيمان بعضه من بعض**)[2]، مبدياً أهمية

---

١ - الكافي،للشيخ الكليني ٥٢/١ ح١١.

٢ - مشكاة الأنوار،الطبرسي ٢٣٦ رقم ٦٧٤.

ذلك من خلال استخدام أساليب الكلام التأكيدية المختلفة؛ إذ أنشأ الكلام، ثم استعمل فاء التفريع، ثم أخبر بجملة أسمية؛ ليوضح عدم انحلال الثنائي الى أحادي، بل تلزم المحافظة على الامتزاج بين المعرفة والعمل، كما أنَّ الإيمان وحدة غير قابلة للتجزئة، وإلا لما بقي إيماناً يختزن التصديق الاعتقادي، مع التطبيق الأفعالي؛ ليعبر هذا النص عن مبدأ التنامي المعرفي، والربط العضوي بين مفردتَي المعرفة والعمل، بما يمثلانه من قطبين محوريين، في الانطلاق نحو التنمية البشرية، وأنه لا دوام لعمل بلا تخطيط ودلالة، كما لانفع من معرفة لا تهدي للعمل والتطبيق.

٥- والتأكيد على اتقان التعليم؛ من خلال التعريف بطريقة تفريع الفروع عن الأصول، وكيفية استنباط الحكم الشرعي من مصادره؛ ولذلك عدة شواهد؛

أ- منها: ما رواه: (**مَسْعَدَةَ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهa فَقَالَ لَه رَجُلٌ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي إِنِّي أَدْخُلُ كَنِيفاً لِي، ولِي جِيرَانٌ عِنْدَهُمْ جَوَارٍ يَتَغَنَّيْنَ ويَضْرِبْنَ بِالْعُودِ فَرُبَّمَا أَطَلْتُ الْجُلُوسَ اسْتِمَاعاً مِنِّي لَهُنَّ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ، فَقَالَ الرَّجُلُ: واللَّه**

مَا آتِيهِنَّ إِنَّمَا هُوَ سَمَاعٌ أَسْمَعُه بِأُذُنِي، فَقَالَ: ...أَمَا سَمِعْتَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْه مَسْؤُولاً﴾، فَقَالَ: بَلَى، واللَّه لَكَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَذِه الآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّه مِنْ أَعْجَمِيٍّ ولَا عَرَبِيٍّ، لَا جَرَمَ أَنِّي لَا أَعُودُ إِنْ شَاءَ اللَّه، وأَنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّه، فَقَالَ لَه: قُمْ فَاغْتَسِلْ وسَلْ مَا بَدَا لَكَ؛ فَإِنَّكَ كُنْتَ مُقِيماً عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، مَا كَانَ أَسْوَأَ حَالَكَ لَوْ مِتَّ عَلَى ذَلِكَ، احْمَدِ اللَّه وسَلْه التَّوْبَةَ مِنْ كُلِّ مَا يَكْرَه، فَإِنَّه لَا يَكْرَه إِلَّا كُلَّ قَبِيحٍ، والْقَبِيحَ دَعْه لأَهْلِه فَإِنَّ لِكُلٍّ أَهْلاً)[1].

ب- ومنها: ما رواه: (عَبْدِ الأَعْلَى...قَالَ قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللَّه a: عَثَرْتُ فَانْقَطَعَ ظُفُرِي فَجَعَلْتُ عَلَى إِصْبَعِي مَرَارَةً فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِالْوُضُوءِ، قَالَ يُعْرَفُ هَذَا وأَشْبَاهُه مِنْ كِتَابِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، امْسَحْ عَلَيْه)[2].

---

١ - الكافي ٤٣٢/٦ ح١٠.

٢ - المصدر نفسه ٣٣/٣ ح٤.

ت- ومنها: ما رواه: «**محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجري والمارماهي والزمير وماله قشر من السمك حرام هو؟، فقال لي: يا محمد اقرأ هذه الآية التي في الانعام: ﴿قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه﴾، قال: فقرأتها حتى فرغت منها، فقال: إنما الحرام ما حرّم الله ورسوله في كتابه، ولكنهم قد كانوا يعافون أشياء فنحن نعافها**»[1]، فإنَّ هذه النماذج تشهد بتوظيف القاعدة القرآنية، لفهم الدليل على الحادثة الجزئية، مما يحتاج المكلف الى معرفة حكمها، ليتيح عليه السلام للمتلقي – المباشر وغيره- الارتقاء الى مستوى الاستدلال على الحكم، وليقطع السبيل أمام المعاند أو المشكك، ممَنْ يتوهم عدم الصلة بين هذه التشريعات وجذورها، ويصرَّ على التفلّت من الامتثال، فكان هذا الأسلوب التنموي، الذي يؤهل شريحة المتلقين، للتفاعل بمستوى الدليل، كما يحدّ من ظاهرة اللجاج

---

١ - تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٦/٩ ح١٦.

والحوار الأجوف؛ لما لهذه الظاهرة من آثار سيئة على الرأي العام، وتلويث أجواء المتلقين، بإثارات مبوءة.

ومما يدل على أنَّ استخدام هذا الأسلوب التنموي، ضمن موقتات خاصة تستدعيه لا دائماً، وجود أجوبة أخرى لأسئلة موجهة اليه عليه السلام تقتصر على الجواب المباشر الناقل للحكم الشرعي دون دليله القرآني؛ بما يكشف عن اتباع منهجية منظمة، تقضي باستخدام أحد الأسلوبين مرةً، واللجوء للآخر في غيرها؛ حسب ما يرتئيه المجيب، مما تساعد على تحديده ظروف السائل والزمان والمكان والحضور والحالة المجتمعية العامة، لاسيما الأمنية، بما لا يجّمد الحكم الشرعي، لكن يفرض مراعاة ماهو الأهم ضمن سياقات المشرِّع الأقدس وأولوياته، التي يعرفها المعصومون عليهم السلام، ويجهل كثيراً منها غيره.

ومن نماذج الأجوبة غير الاستدلالية:

أ- ما رُوي: (**عنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّه a عَنْ مَاءِ الْبَحْرِ أَطَهُورٌ هُوَ قَالَ: نَعَمْ**)[1].

ب- أو ما رُوي (**عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّه عليه السلام عَنْ رَجُلٍ وَقَعَ لِي عِنْدَه مَالٌ فَكَابَرَنِي عَلَيْه وحَلَفَ ثُمَّ وَقَعَ لَه عِنْدِي مَالٌ فَآخُذُه مَكَانَ مَالِيَ الَّذِي أَخَذَه وأَجْحَدُه وأَحْلِفُ عَلَيْه كَمَا صَنَعَ فَقَالَ: إِنْ خَانَكَ فَلَا تَخُنْه ولَا تَدْخُلْ فِيمَا عِبْتَه عَلَيْه**)[2].

ت- أو ما رُوي (**عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّه a عَنِ الصَّبِيِّ الْمَوْلُودِ مَتَى يُذْبَحُ عَنْه ويُحْلَقُ رَأْسُه ويُتَصَدَّقُ بِوَزْنِ شَعْرِه ويُسَمَّى قَالَ: كُلُّ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ**)[3]؛ فقد امتازت بالاقتصار على أوجز جواب يحقق الغرض؛ ليدلل ذلك بوضوح على وجود إرادة تصحيحية منه عليه السلام، لمسارات أخرى، وهو عليه السلام في كلا الحالين، يعرض مادة تنموية، لا يقتصر

---

١ - الكافي -الشيخ الكليني ٣ / ١ح ٤.

٢ - المصدر نفسه ٩٨/٥ ح ١.

٣ - المصدر نفسه ٢٨/٦ ح ٨.

نفعها على الجيل الحاضر، بل يتعداه الى مَنْ يليه، كما لايقتصر فهم أسلوب الخطاب على الاتباع دون غيرهم، بل يعم الجميع؛ مما يُسهم في رفع المستوى العلمي والثقافي العام، سواء ذكر الدليل القرآني أم لا، مما يساعد ذلك على الحد من ظاهرة الجهل أو تراكم الشبهات.

٦- والتنبيه على مساوئ الابتعاد عن الخط البياني المتمثل بالقرآن المجيد؛ فقال الإمام الصادق عليه السلام: (**إِنَّ اللَّه أَتَمَّ لَكُمْ مَا آتَاكُمْ مِنَ الْخَيْرِ، واعْلَمُوا أَنَّه لَيْسَ مِنْ عِلْمِ اللَّه ولَا مِنْ أَمْرِه أَنْ يَأْخُذَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّه فِي دِينِه بِهَوًى ولَا رَأْيٍ ولَا مَقَايِيسَ؛ قَدْ أَنْزَلَ اللَّه الْقُرْآنَ، وجَعَلَ فِيه تِبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ، وجَعَلَ لِلْقُرْآنِ ولِتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ أَهْلاً، لَا يَسَعُ أَهْلَ عِلْمِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّه عِلْمَه أَنْ يَأْخُذُوا فِيه بِهَوًى ولَا رَأْيٍ ولَا مَقَايِيسَ أَغْنَاهُمُ اللَّه عَنْ ذَلِكَ بِمَا آتَاهُمْ مِنْ عِلْمِه وخَصَّهُمْ بِه ووَضَعَه عِنْدَهُمْ كَرَامَةً مِنَ اللَّه أَكْرَمَهُمْ بِهَا وهُمْ أَهْلُ الذِّكْرِ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّه هَذِه الأُمَّةَ بِسُؤَالِهِمْ**)[١]؛ ليكون عليه السلام قد حدد معالم الطريق؛ لئلا يتغلغل الفكر الآخر بين

---

١ - المصدر نفسه ٨/٦ ح١.

الصفوف ويخترق العقول؛ فيتعدى الإنسان طوره ويتوهم لنفسه قدرةً على اجتياز الممنوع عليه؛ لأنه إذا" لَيْسَ مِنْ عِلْمِ اللَّه ولَا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ يَأْخُذَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّه فِي دِينِه بِهَوًى ولَا رَأْيٍ ولَا مَقَايِيسَ"، فلا يوفق أحدٌ في ما لو حاول ذلك، وبهذه الطريقة قد نصح عليه السلام الأمة بضرورة الالتزام بالضوابط، والأخذ ممَنْ نُصب لذلك، وعدم تخطيه؛ والا فكما أخبر الإمامُ الصادقُ عليه السلام ابنَ شبرمة وأبا حنيفة: (**فإنّا نحن وأنتم غداً ومَنْ خالفنا بين يدي الله عز وجل، فنقول: قلنا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، وتقول أنت وأصحابك: حُدِثنا ورُوينا، فيفعل بنا وبكم ما شاء الله عز وجل**)[1]؛ وذلك بعدما قال ابنُ شبرمة للإمام الصادق عليه السلام معرِّفاً لأبي حنيفة(**هذا رجل من أهل العراق له فقه وعقل، فقال له جعفر: لعله الذي يقيس الدين برأيه ؟، ثم أقبل عليَّ فقال: هذا النعمان بن ثابت ؟، فقال أبو حنيفة : نعم، أصلحك الله تعالى، فقال- عليه السلام -: اتق الله ولا تقس الدين برأيك؛ فإن أول مَنْ قاس إبليس؛**

١ - الأمالي –الشيخ الطوسي ٦٤٦ رقم ٨ ١٣٣ / ١ .

إذ أمره الله بالسجود فقال: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾، ثم قال له جعفر: هل تُحسن أن تقيس رأسك من جسدك ؟ قال : لا، ...)[١]، ومن خلال هذه المقارنة، يظهر حرص الإمام عليه السلام الشديد واهتمامه البالغ بنصح المصرّ على استعمال الهَوى والرَأْيِ والمَقَايِيسَ، ومحاولة كفه عن الاستمرار بذلك الاتجاه؛ لأنه اعتماد رواية ونقل، في مقابل دراية وعلم، والفرق بينهما كبير، وقد تجلى من هذه النصيحة، تصميمه عليه السلامعلى انقاذ الآخر بشتى الوسائل المتاحة، وهو ما يعكس روحاً تنموية تسعى لانجاح الآخر، الأمر الذي يشكل أولويةً من أولويات الملتزمين بإمامتهعليه السلام، ومرتكزاً أساساً، فينقادون -في الأغلب-لتنفيذ ذلك، والعمل على إتباعه، لإشاعة أجواء النجاح للبشرية عامة، وما يحقق تلك الغاية السامية في أوساط المجتمع، لتحصل قفزة نوعية تدريجاً، وليتأكد الجميع أنَّ الظرف الأمني الضاغط، لم يمنع الإمام عليه السلام مطلقاً من القيام بمهامه، لكن ضمن خطته التي

---

١ - المصدر نفسه.

وجدها ملائمة للمرحلة، وليس كما يقترح الآخر؛ لعدم توافقها دائماً مع متبنياته عليه السلام؛ لأنَّ الفرق بين الأمرين، أنه منصوب لخلافة الله تعالى في الأرض[١]، مما ينبئ عن دقة الاختيار، والا

١ - قد دلّت الأدلة العقلية والنقلية على إمامة الأئمة الأثني عشر عليهم السلام ؛وذلك لدلالة العصمة والأفضلية عقلاً على اختصاصهم عليهم السلام بها دون غيرهم،ونقلاً لدلالة حديث الثقلين وحديث الأئمة إثنا عشر،على استمرار وجود الإمام وعدم الانقطاع،والا كان نقضاً للغرض من منصب الإمامة؛وقد ذكر العلامة الحلي في كتاب نهج الحق ١٧١ – ١٧٢ ما دلَّ (على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام من حيث العقل،وهي من وجوه :

الأول : الإمام يجب أن يكون معصوماً،وغير علي لم يكن معصوماً بالإجماع ، فتعين أن يكون هو الإمام .

الثاني : شرط الإمام أن لا يسبق منه معصية ...، والمشايخ قبل الإسلام كانوا يعبدون الأصنام ، فلا يكونوا أئمة ،فتعين علي عليه السلام لعدم الفارق .

الثالث : الإمام يجب أن يكون منصوصاً عليه،وغير علي من الثلاثة ليس منصوصاً عليه ، فلا يكون إماماً .

الرابع : الإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته ، وغير علي لم يكن كذلك ، فتعين عليه السلام .

لاختار تعالى غيره، ولما صرحت النصوص المباركة باسمه دون سواه[1]، كشف عن خصوصية فيه، والا للزم نسبة الجهل للعالِم المطلق تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

الخامس : الإمامة رئاسة عامة ، وإنما تستحق بالزهد ، والعلم ،والعبادة ، والشجاعة ، والإيمان ، وسيأتي أن عليا هو الجامع لهذه الصفات على الوجه الأكمل ، الذي لم يلحقه غيره ، فيكون إماماً).

١ - روى الحمويني الجويني الشافعي في فرائد السمطين ١٣٤/٢ ب٣١ رقم ٤٣٠،ط دار الحبيب ١٤٢٨هـ : بإسناده عن عبد الله بن عباس عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: (إنَّ وصيي والخليفة من بعدي علي بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن ثم الحسين يتلوه تسعة من صلب الحسين أئمة أبرار...إذا مضى الحسين فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمد ، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى ، فإذا مضى موسى فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمد ، ثم ابنه علي ،ثم ابنه الحسن،ثم الحجة بن الحسن،فهذه اثنا عشر أئمة...)،كما روى القندوزي الحنفي في ينابيع المودة لذوي القربى ٣ /٣٩٨ رقم ٥٤ بإسناده عن: (جابر بن عبد الله الأنصاري يقول :قال لي رسول الله(ص): يا جابر إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ،ثم محمد بن علي المعروف بالباقر ستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه مني السلام ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر،ثم علي بن موسى،ثم محمد بن علي ، ثم علي بن محمد،ثم الحسن بن علي،ثم القائم

٧- واستعراض بعض الوقائع التي يتورط بها الإنسان؛ كما روى: (**ابن أبي ليلى قال: دخلت أنا والنعمان أبو حنيفة على جعفر بن محمد، فرحب بنا وقال: يا بن أبي ليلى مَنْ هذا الرجل ؟قلت: جعلت فداك هذا رجل من أهل الكوفة له رأي ونظر ونفاذ، قال: فلعله الذي يقيس الأشياء برأيه؟، ثم قال له: يا نعمان هل تحسن تقيس رأسك ؟ قال: لا، قال: فما أراك تحسن تقيس شيئاً ولا تهتدي إلا من عند غيرك، فهل عرفت مما الملوحة في العينين، والمرارة في الاذنين، والبرودة في المنخرين، والعذوبة في الفم ؟، قال لا، قال: فهل عرفت كلمة أولها كفر وآخرها إيمان؟ قال: لا، قال ابن أبي ليلى: فقلت: جعلت فداك لا تدعنا**

اسمه اسمي وكنيته كنيتي محمد بن الحسن بن علي ،ذاك الذي يفتح الله - تبارك وتعالى - على يديه مشارق الأرض ومغاربها ، ذاك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلا مَنْ امتحن الله قلبه للايمان ،قال جابر : فقلت: يا رسول الله فهل للناس الانتفاع به في غيبته ؟،فقال : إي والذي بعثني بالنبوة ، إنهم يستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن سترها سحاب ، هذا من مكنون سر الله ، ومخزون علم الله ، فاكتمه إلا عن أهله .

في عمى مما وصفتَ لنا، قال: نعم حدثني أبي عن آبائه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: إنَّ الله تبارك وتعالى خلق عينَي ابن آدم على شحمتين، فجعل فيها الملوحة ولولا ذلك لذابتا ولم يقع فيهما شئ من القذى إلا أذابهما، والملوحة تلفظ ما يقع في العينين من القذى، وجعل المرارة في الأذنين حجاباً للدماغ فليس من دابة تقع في الأذنين إلا التمست الخروج، ولولا ذلك لوصلت إلى الدماغ، وجعل البرودة في المنخرين حجاباً للدماغ، ولولا ذلك لسال الدماغ، وجعل الله العذوبة في الفم منّاً من الله على ابن آدم ليجد لذة الطعام والشراب، وأما كلمةٌ أولها كفر وآخرها إيمان؛ فقول: لا إله إلا الله، أولها كفرٌ وآخرها إيمان، ثم قال: يا نعمان إياك والقياس؛ فإن أبي حدثني، عن آبائه، أن رسول الله ﷺ قال: مَنْ قاس شيئاً من الدين برأيه، قرنه الله مع إبليس في النار؛ فإنه أول مَنْ قاس حين قال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فدعوا الرأي والقياس، وما قال قومٌ ليس له في دين الله برهان؛ فان دين الله لم يوضع بالآراء والمقاييس)[١]، بما يؤكد اهتمام

---

١ - علل الشرائع للشيخ الصدوق ٨٨/١ ح٤،الاحتجاج للطبرسي ١١٠/٢.

الإمام الصادق عليه السلام بمواجهة الأفكار التي لاتنسجم مع المبادئ التي اختطها رسول الله ؛ لتتميز الحقائق، ولاتتداخل الملفات؛ فيُستغفل الناس، ويحصل انشقاق داخلي في الاصطفاف الواحد، متبعاً عليه السلام في ذلك أسلوب النقد الهادف للتصحيح، المدعم بالحجة والبرهان؛ لئلا يثقل على متلقيه ويأباه اعتزازاً بالرأي، بل يذعن و يقر؛ حتى قام أبو حنيفة بعد محاورة مفصلة مع الإمام الصادق عليه السلام: (فقبّل رأسه وخرج وهو يقول: أعلم الناس، ولم نره عند عالم)[1]؛ مما يدل دلالة تنموية على روحٍ تتسامى عن التقريع، وترتفع الى التعليم والتوجيه، بما يحوِّل (فقيه أهل العراق)[2] الى معترف بفضله عليه السلام وأنه أعلم الناس، ولم يره عند عالم، وهو تحوّلٌ بدرجة كبيرة، يعكس التأثر النفسي بهذا الأسلوب التنموي الهادف الهادئ .

---

١ – المصدر نفسه ٨٩/١ ح٥.

٢ – المصدر نفسه.

٨- والتحذير من عواقب بعض الأجوبة؛ حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: (**إنَّ مَنْ أجاب في كل ما يُسأل عنه لمجنون**)[١]؛ لأنَّ للتناغم مع كل أطروحة، أو التفاعل مع كل طلب، عواقبه وآثاره السيئة أحياناً، فيلزم تحكيم المعايير والضوابط العقلائية المتبعة، وعدم الانفعال والارتجال في ذلك، لتتم الموازنة بين فوائد الجواب والسكوت أو آفاتهما، قياساً مع حال السائل والمجيب؛ لينضج الجواب ولايندم المجيب عليه؛ إذ(ربّما كان السّكوت جواباً)[٢]؛ فليس الجواب بدالٍ على شجاعة دائماً، بل قد يؤشر الى تهور وتعجّل، كما لم يكن السكوت عيّاً وضعفاً دائماً؛ فقد يدل على الحكمة.

ومن آثار الالتزام بما قاله عليه السلام، حقن دم الإنسان، وحفظ كرامته وعرضه وماله؛ (**فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وجَلَبَتْ نِقْمَةً**)[٣]، فلابد من مراعاة ذلك مهما أمكن؛ لئلا يكون المجيب عن جميع

---

١ - معاني الأخبار للشيخ الصدوق ٢٣٨ ح٢.

٢ - مجمع الأمثال - الميداني ٣١٤/١

٣ - نهج البلاغة ٥٤٣ رقم ٣٨١.

ما يُسأل عنه مجنوناً؛ لأنَّ (**الْعَاقِلَ، هُوَ: الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَه**)[١]، والتسرع بالجواب عن جميع الأسئلة، وضعُ الشئ في غير مواضعه.

٩- و بيان شرف العلم مقارنة بالعبادة التطوعية؛ إذ قال الإمام الصادق عليه السلام: (**مَنْ تعلّم باباً من العلم- عمل به أو لم يعمل -، كان أفضل من أن يصلي ألف ركعة تطوعاً**)[٢]؛ فضلاً عن كون تعلّم العلم أو تعليمه عبادة-إذا قُصد التقرب به لله تعالى-، فإنَّ العلم يقود صاحبَه نحو العمل، والعبادة عملٌ؛ سواء لكونها حركة عضوية أم علاقة روحية، وهي مع ذلك كله مفتقرة الى القبول والتأثير، وهما مرهونان بالمعرفة، وتعلّم العابد لأحكام عبادته وشروطها، سوى أنَّ العابد تطوعاً يقتصر على نفع نفسه، بينما المتعلم يسعى لتثقيف غيره بما ينجيه في الدنيا والآخرة، وبالتالي تفاوت نفعاهما وتأثيرهما المجتمعي.

---

١ - المصدر نفسه ٥١٠ رقم ٢٣٥.

٢ - مشكاة الأنوار،الطبرسي ٢٤٠ رقم ٦٩٤.

١٠- وإنَّ بالعلم تتبلور المفاهيم، وتصحح الرؤى، ومنه يستدل الإنسان على حقيقة الوجود والموجودات، ويستقيم كما أُمر، فلولاه لما آمن إنسانٌ وما اتبع رسولاً، وما عرف الحق ليتبعه؛ قال الإمام الصادق عليه السلام: (**من حقيقة الإيمان أن تؤثر الحق وإنْ ضرّك، على الباطل وإنْ نفعك، وألا يجوز منطقُك عملَك**)[1]، مما يصلح كبرنامج عمل متكامل، يبدأ بتقديم الحق وعدم التقدم عليه، ويستمر بمقاطعة الباطل وعدم المحاباة في ذلك؛ ليعيش الانسجام في المواقف وتوافق القول مع الفعل، بعدما يتمثل النظرية ويحرص على تطبيقها؛ ليتحسس بلذة تحقيق الأمل، ويحس بلذع الألم، فلا تتفاوت الشعارات لديه عن الواقع، وإلا لما كان مؤمناً؛ رُوي عن رسول الله• أنه قال : (**إنَّ الرجلَ لا يكون مؤمناً حتى يكون قلبُهُ مع لسانِهِ سواء، ويكون لسانُهُ مع قلبِهِ سواء، ولا يخالف قولُهُ عملَهُ، ويأمن جارُهُ بوائقَهُ**)[2]، فالمؤمن

---

١ - المحاسن للبرقي ٢٠٥/١ رقم ٥٧،الخصال للشيخ الصدوق ٥٣ رقم ٧٠.

٢ - تاريخ مدينة دمشق- ابن عساكر-٦١ /٢٥٠،الترغيب والترهيب - المنذري ١/ ١٢٨ ح٢٢٣ .

أولاً: يستشعر المسئولية، ويعيش الانضباط وعدم المراوغة في الادّعاء، وثانياً: يستغني عن شهادةٍ لفظيةٍ من أحدٍ؛ لسعيه الحثيث على إثبات صدق قوله بفعله، وثالثاً: يتلازم عنده الإيمان لساناً مع الاعتقاد قلباً ليظهرا معاً في تصرفاته العضوية، ورابعاً: يقر بضرورة ترشيد سعيه، والاستضاءة بنور العلم، ورفد مستواه المعرفي، وتوسيع منافذ ثقافته؛ وفي هذه الرباعية ركائز تنموية راسخة، تقوي من عزم الإنسان، وتديم تصميمه، وتحسِّن أدائه، فيتابع نفسه بنفسه، ويهتم بغيره، وهذا ما يصطلح عليه فقهياً: بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يحفز لرعاية الآخر والاهتمام بشأنه، فضلاً عن مراقبة النفس والسيطرة عليها.

١١- كما بالعلم يُهتدى الى البُعد التنموي في ما قاله الإمام الصادق عليه السلام: (**ثلاثة أشياء يحتاج الناس طراً إليها: الأمن والعدل والخصب**)[1]؛ بما يؤسس لثلاثية الحاكم والمحكوم والحكم؛ حيث لا يستقر أمر المحكوم الا باستتباب الحالة الأمنية، واستقلالِ القضاء عن سائر السلطات التشريعية والتنفيذية، وازدهارِ الاقتصاد

---

١ - تحف العقول،للحراني ٣٢٠.

ونموهِ؛ بحيث يفتقر الجميع لها ولا يستغني أحدٌ عن واحدة منها مهما كان؛ لكونها ركائز مهمة جداً ليتمكن الحاكم من القيادة، بما يضمن نجاحه واستمراره، وإلا لتوالت الاعتراضات على أحكامه، والاحتجاجات على قيادته حتى الإطاحة به؛ فلئلا يُغلب الحاكم على أمره، في هضم حقوق المحكومين، أو الجور في الحكم عليهم، بما يؤدي الى الفشل الذريع، وما يصاحبه من تضييع الثروات وهدر الطاقات، وهو عكس المطلوب التنموي، كان بيان الثلاثية المتقدمة، والدلالة على أهميتها؛ لأنها ضمانة نجاح الحاكم والمحكوم، وهما قطبا المجتمع، بحيث لو فقد بعض الثلاثية، لاختلَّ توازن القطبين؛ بسبب فقدان الأمن، أو عدم نزاهة القضاء، أو تفشي البطالة، بل كان مضيعةً لفرصة الحاكم في الاستمرار بحكمه، وهذا عين الفشل، وللمحكوم في استنقاذ حقه، وهذا عين الغبن، .

١٢- وأيضاً بسبب العلم والوعي ينهض أفراد المجتمع بمسئوليتهم المشتركة في إنجاح تجربتهم الحياتية؛ فيتضامنوا جميعاً ويتمسكوا بالعدل كقيمة كبرى لا بديل عنها، وينبذوا الظلم

ويبتعدوا عن التعدي؛ عملاً بما قال الإمام الصادق عليه السلام: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُه ولَا يَخْذُلُه ولَا يَخُونُه، ويَحِقُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الِاجْتِهَادُ فِي التَّوَاصُلِ والتَّعَاوُنُ عَلَى التَّعَاطُفِ والْمُوَاسَاةُ لأَهْلِ الْحَاجَةِ، وتَعَاطُفُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى تَكُونُوا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّه عَزَّ وجَلَّ: رُحَمَاءَ بَيْنَكُمْ، مُتَرَاحِمِينَ مُغْتَمِّينَ لِمَا غَابَ عَنْكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْه مَعْشَرُ الأَنْصَارِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّه ٠)[1]، ليستشعر الجميع أنهم في طريق واحد، وأنْ التخلي عن قيم العدل والتواصل والتعاون والتعاطف والتواسي والتراحم، يشكِّل منعطفاً حادّاً وسابقة خطيرةً في طريق تحقيق الأهداف الكبرى التي من أجلها يحيى الجميع؛ من الاستقرار والازدهار والإعمار، وسواها مما يبتغيه الإنسان لنفسه وذويه، مذكِّراً عليه السلام بضرورة التأسي بسيرة الصالحين والسابقين ممَنْ جربوا الحياة وقاسوها ولم ينخدعوا بها، بل حافظوا على الثوابت العامة ورعوها حقَّ رعايتها، بما

١ - الكافي ٢/١٧٤ ح١٥.

يُلزم الخلف الأخذ بسيرتهم، والإفادة من تجربتهم، مع الاحتفاظ بخصوصية كل مرحلة.

١٣- والتأكيد على التحلي بمحاسن الصفات وملازمتها، وعدم التخلي عنها؛ لأنها من أفضل ما يتطبعه الإنسان -لو لم تكن فيه-؛ حيث قال الإمام الصادق عليه السلام: (**إِنَّ اللَّه عَزَّ وجَلَّ خَصَّ رُسُلَه بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ فَامْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنْ كَانَتْ فِيكُمْ فَاحْمَدُوا اللَّه واعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ خَيْرٍ، وإِنْ لَا تَكُنْ فِيكُمْ فَاسْأَلُوا اللَّه وارْغَبُوا إِلَيْه فِيهَا، قَالَ -الراوي-فَذَكَرَهَا عَشَرَةً: الْيَقِينَ والْقَنَاعَةَ والصَّبْرَ والشُّكْرَ والْحِلْمَ وحُسْنَ الْخُلُقِ والسَّخَاءَ والْغَيْرَةَ والشَّجَاعَةَ والْمُرُوءَةَ، قَالَ-الراوي-: ورَوَى بَعْضُهُمْ بَعْدَ هَذِه الْخِصَالِ الْعَشَرَةِ وزَادَ فِيهَا الصِّدْقَ وأَدَاءَ الأَمَانَةِ**)[1]؛ تبياناً منه عليه السلام لفضلها، وحرصاً على نشرها بين أفراد المجتمع، بمختلف طبقاته ومستوياته؛ لتعمَّ وتترسخ في نفوس الكبار فيربّوا الصغار عليها، وهؤلاء بدورهم يعتادوها؛ بعد أنْ نشأوا عليها، فتنموا بينهم وتسود فيهم، مما يوجد حالةً مجتمعية فضلى، تؤدي الى

١ - المصدر نفسه ٥٦/٢ ح٢.

امتياز المتحلي بها عن العاطل أو المتخلي عنها، بما يكسب كلاً ما يستحقه من التوقير أو غيره، وعندها كانت عملية تجذير الصفات الايجابية بأدنى كلفة، وبأقصر زمن ممكن، بدون اللجوء الى مؤسسات إعداد وتهيئة؛ إذ كانت أجواء الأسرة هي المتكفلة بذلك، والمتابِعة له، وهي أقدر من غيرها على تحقيقه وانجازه.

١٤- وتعميق روح المبادرة والعزم على الإنجاز، وعدم التماهل والتأخر؛ إذ لا يُدرَك المراد الا بالاهتمام والحرص على التنفيذ؛ إذ قال الإمام الصادق عليه السلام: (**إِذَا هَمَمْتَ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ فَلَا تُؤَخِّرْه؛ فَإِنَّ اللَّه عَزَّ وجَلَّ رُبَّمَا اطَّلَعَ عَلَى الْعَبْدِ وهُوَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الطَّاعَةِ فَيَقُولُ: وعِزَّتِي وجَلَالِي لَا أُعَذِّبُكَ بَعْدَهَا أَبداً، وإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَعْمَلْهَا؛ فَإِنَّه رُبَّمَا اطَّلَعَ اللَّه عَلَى الْعَبْدِ وهُوَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَعْصِيَةِ فَيَقُولُ: وعِزَّتِي وجَلَالِي لَا أَغْفِرُ لَكَ بَعْدَهَا أَبَداً**)[١]، مما يدفع نحو التعاطي مع الخير في مختلف مواقعه، والتجافي عن الشر مهما كان نفعه؛ حيث يستشعر العبد الرقابة الإلهية ويخاف ربه ويخشاه فيرتدع؛ وقد فَسَرَ الإمام الصادق عليه السلام :

---

١ - المصدر نفسه ١٤٣/٢ ح٧.

(قَوْلِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ: "ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّه جَنَّتانِ"، قَالَ: مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّه يَرَاه، ويَسْمَعُ مَا يَقُولُ، ويَعْلَمُ مَا يَعْمَلُه مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَيَحْجُزُه ذَلِكَ عَنِ الْقَبِيحِ مِنَ الأَعْمَالِ، فَذَلِكَ الَّذِي خَافَ مَقَامَ رَبِّه ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى)[1]؛ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[2].

وغيرها من الوصايا، فضلاً عن الروايات في العقائد والتفسير والفقه وسواها، مما يشكِّل معالم المدرسة الصادقية المباركة، ويوضح أهدافها الإنسانية في المحافظة على الفرد والمجتمع من أنْ يتأثرا بموجات التغيير الجارف والعاتي الذي يكاد لا يُبقي ولا يذر، لولا هذا الاهتمام البالغ بترسيخ المفاهيم والقيم الأصيلة، وتقديمها كمنطلقات لنهوض المجتمعات المتحضرة، ثم المتابعة الجادة لديمومتها ونموها المستمر؛ لئلا تتأثر بعوامل التقادم الزمني واختلاف طبيعة المكان وما تسببه من تموجات وترددات سلبية

---

١ - الكافي ٧١/٢ ح١٠.

٢ - سورة النازعات،الآيات٣٧-٤١.

على الجميع؛ لتُثنيهم عن المواصلة والمتابعة؛ الأمر الذي أدى الى تبني المعصوم عليه السلام لهذا المشروع الإصلاحي، ودعمه المتزايد من أجل ضمان استمراره وعدم انقطاعه أو إهماله، بسبب حادث أو طارئ، فجعله عليه السلام منهجاً حياتياً لا محيد عنه، مهما كانت الظروف والمؤثرات المصاحبة؛ فقد استدامه المعصومون عليهم السلام بكل قواهم، وواصلوا دعمه، واهتموا بتربية الأجيال المتلاحقة على مبادئه؛ لأنه مشروع تنموي حيوي يُعنى بالإنسان لإنسانيته، ولا يتخلى عنه لفقره أو جهله أو مرضه أو غيرها من موانع كثيرة، تحول دون استمرار الرعاية، بل تحيل الإنسان الى مادة استهلاكية للمزايدة عليه، حتى يتحول الى كائن آخر، وعندها تتبعثر الجهود التي ابتدأها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله. وغذاها آله المعصومون عليهم السلام، ومازالت برعاية خاتمهم المنتظر عليه السلام، بما يخاف عندئذ من تلاشي القيم واستبدالها بغيرها من الغرائب، وعندها -والعياذ بالله تعالى-يطول أمد الوصول للحلول الجذرية في الإصلاح.

الخاتمة

وفي خاتمة الحديث عن الإمام الصادقعليه السلام ودوره في التنظير للتنمية البشرية، و بعد استعراض تطبيقات تنموية متنوعة متعددة، لابد من التأمل في قولهعليه السلام: **(لا يُفْلِحُ مَنْ لَا يَعقِلُ، ولَا يَعْقِلُ مَنْ لَا يَعْلَمُ، وسَوْفَ يَنْجُبُ مَنْ يَفْهَمُ، ويَظْفَرُ مَنْ يَحْلُمُ، والْعِلْمُ جُنَّةٌ، والصِّدْقُ عِزٌّ، والْجَهْلُ ذُلٌّ، والْفَهْمُ مَجْدٌ، والْجُودُ نُجْحٌ، وحُسْنُ الْخُلُقِ مَجْلَبَةٌ لِلْمَوَدَّةِ، والْعَالِمُ بِزَمَانِه لَا تَهْجُمُ عَلَيْه اللَّوَابِسُ، والْحَزْمُ مَسَاءَةُ الظَّنِّ، وبَيْنَ الْمَرْءِ والْحِكْمَةِ نِعْمَةُ الْعَالِمِ، والْجَاهِلُ شَقِيٌّ بَيْنَهُمَا، واللَّه وَلِيٌّ مَنْ عَرَفَه وعَدُوٌّ مَنْ تَكَلَّفَه، والْعَاقِلُ غَفُورٌ والْجَاهِلُ خَتُورٌ، وإِنْ شِئْتَ أَنْ تُكْرَمَ فَلِنْ، وإِنْ شِئْتَ أَنْ تُهَانَ فَاخْشُنْ، ومَنْ كَرُمَ أَصْلُه لَانَ قَلْبُه، ومَنْ خَشُنَ عُنْصُرُه غَلُظَ كَبِدُه، ومَنْ فَرَّطَ تَوَرَّطَ، ومَنْ خَافَ الْعَاقِبَةَ تَثَبَّتَ عَنِ التَّوَغُّلِ فِيمَا لَا يَعْلَمُ، ومَنْ هَجَمَ عَلَى أَمْرٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ جَدَعَ أَنْفَ نَفْسِه، ومَنْ لَمْ يَعْلَمْ لَمْ يَفْهَمْ، ومَنْ لَمْ يَفْهَمْ لَمْ يَسْلَمْ، ومَنْ لَمْ يَسْلَمْ لَمْ يُكْرَمْ، ومَنْ لَمْ يُكْرَمْ يُهْضَمْ، ومَنْ يُهْضَمْ كَانَ أَلْوَمَ،**

ومَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ أَحْرَى أَنْ يَنْدَمَ)[١]؛ ليتجلى من خلال هذه اللوحة الرائعة أنْ بناء الإنسان لا يستغني عن توافر عدة مقومات، لا غنى لبعضها عن البعض الآخر؛ لتتحقق تنمية الفرد وإعداده بما ينسجم ومشروع استخلافه الإلهي في الأرض، ويكون نواة منتجة لمجتمع صالح؛ وإلا فلا يكفيه نمو عضوي أو نماء اقتصادي أو غيرهما، بدون أنْ توجد حُزمة إصلاحات تتولى تدعيم بُناه الأساس، ثم تتوالى ولا تنقطع عنه؛ ليكون الفرد أو المجتمع مما يؤمل منه وفيه الخير، وبغير هذا لا ضمانات كافية لنهضةٍ أو تطورٍ، بل تبقى ترددات تتجاذب الجميع دون معالجة الخلل، الناشئ عن تداعيات الانغماس بالماديات، والتقصير في مجالات أخرى، مع أنَّ مقتضى الحكمة المحافظة على التوازنات والجمع بين المعرفة و الأخلاق، وعدم الاكتفاء بقطب واحد؛ لتستقيم الأمور وتستقر؛ كما جرى على ذلك برنامج هذه المدرسة الصادقية المباركة؛ حيث تنوعت مواد التوجيه و التعليم فيها، الى استدلالية وكلمات موجزة، والى أقوال يبتدأ عليه السلام بها

---

١ - الكافي ٢٦/١ ح٢٩، ختور من الختر:المكر والخديعة.

جُلاّسه، وأجوبة يردُّ بها على سائليه؛ مما يدل على متابعةٍ و رعايةٍ، وتنظيم الجهود حسب المتاح، وعدم الاستسلام لأطواق التعتيم والتغييب، بل محاولة توظيف المتوافر، لأداء الرسالة وإيصالها؛ إستشعاراً منه عليه السلام لمسئوليته وأنه الشاهد على الأمة؛ كما روى: (**بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿وكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾، قَالَ: نَحْنُ الأُمَّةُ الْوُسْطَى ونَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّه عَلَى خَلْقِه وحُجَجُه فِي أَرْضِه... ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾، فَرَسُولُ اللَّه الشَّهِيدُ عَلَيْنَا بِمَا بَلَّغَنَا عَنِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ، ونَحْنُ الشُّهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ؛ فَمَنْ صَدَّقَ صَدَّقْنَاه يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ومَنْ كَذَّبَ كَذَّبْنَاه يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[١]، الأمر الذي يعني أنها أمانة ائتمنهم الله تعالى على أدائها للناس، وقد سعوا في ذلك وجهدوا من أجل دلالة الفرد على ما فيه خيره وصلاح مجتمعه.

---

١ - الكافي ١/١٩٠ ح ٢.

وما هذا البحث بما جمعه من شذرات تنموية في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام، إلا بداية محاولةٍ لاستكشاف المزيد من جهود هذه المدرسة المعطاءة، وخطوة في طريق الكشف عن الأدوار الإنسانية لسائر الأئمة المعصومين عليهم السلام وما بذلوه في سبيل محافظة الإنسان على إنسانيته وقِيمها، وما قدّموه عليهم السلام من تراثٍ لازلنا نغتني منه ونفاخر به ونعتمد عليه؛ إذ نقرأ فيه الحلول العملية لتخليص الإنسان مما يعانيه من أزمات ومشكلات-لو اتبعها وانتهج طريقها-؛ لأنها ليست بمفروضة على أحدٍ؛ ليُقسر على الإفادة منها، بل هي معروضة لكل مَنْ يُحسن توظيفها، فلو عجّت دنيانا بما نعانيه مع وجود هذا التراث المعصومي، لكان السبب ممَنْ تنكب الطريق، أو تعثر في خطواته، وأهمل استعمال الحلول، أو زهد بما فيها، دون أنْ يكون الخلل في النظرية؛ لأنها قائمة على أساس متين، محكمة المباني، متقنة المعاني، لكن أصابها الاهمال، وهي لاتغني الا مَنْ استعان بها وأخذ منها، دون مَنْ

أعرض عنها، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[١]، والحمد لله ربِّ العالمين.

١ - سورة هود،الآية ٨٨.

المصادر

قد تم اعتماد طبعات المصادر حسب نسخ قرص مكتبة أهل البيت عليهم السلام- الإصدار الثاني١٤٣٣هـ -٢٠١٢م، الا ما أُشير لمعلوماته من غيرها.

١. القرآن الكريم.
٢. الاحتجاج/ للطبرسي.
٣. الإرشاد/الشيخ المفيد
٤. أساس البلاغة/ للزمخشري.
٥. الأمالي/ للشيخ الصدوق.
٦. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك/ لابن هشام الأنصاري.
٧. تاج العروس/ للزبيدي.
٨. تاريخ مدينة دمشق/ لابن عساكر.
٩. تحف العقول/ للحراني.
١٠. الترغيب والترهيب/ للمنذري.
١١. تذكرة الخواص/سبط ابن الجوزي
١٢. تقرير التنمية البشرية ٢٠١١، عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.
١٣. التنمية البشرية في القرآن/ طلال فائق الكمالي، أطروحة ماجستير ٢٠١٣ - ١٤٣٤هـ .
١٤. تهذيب الأحكام/ للشيخ الطوسي.
١٥. الجامع الصغير/ للسيوطي.

١٦. الخصال/ للشيخ الصدوق.
١٧. الدر المنثور/ للسيوطي.
١٨. الرجال/ للشيخ الطوسي.
١٩. الرجال/ للنجاشي.
٢٠. سنن ابن ماجة
٢١. سنن الترمذي
٢٢. سير أعلام النبلاء/الذهبي
٢٣. سيرة ابن إسحاق
٢٤. شرح نهج البلاغة/ابن أبي الحديد
٢٥. شُعب الإيمان/ للبيهقي.
٢٦. الصحاح/ للجوهري.
٢٧. الصواعق المحرقة/ لابن حجر، مؤسسة الرسالة لبنان.
٢٨. طبقات ابن سعد.
٢٩. علل الشرائع/ للشيخ الصدوق.
٣٠. عوالي اللآليء/ للأحسائي.
٣١. عيون أخبار الرضا/للشيخ الصدوق.
٣٢. عيون المواعظ والحِكَم/الليثي الواسطي.
٣٣. فرائد السمطين/ للحمويني الشافعي، ط دار الحبيب ١٤٢٨هـ .
٣٤. الفصول المهمة/ابن الصباغ
٣٥. فوائد العراقيين، النقاشي الإًفهاني الحنبلي.
٣٦. الكافي، للشيخ الكليني.

٣٧. كشف الغمة/الأربلي.
٣٨. كنز العمال/ للمتقي الهندي.
٣٩. لسان الميزان/ لابن حجر.
٤٠. مجمع الأمثال/ للميداني.
٤١. مجمع الزوائد/ للهيثمي.
٤٢. المحاسن/ للبرقي.
٤٣. المخصص، لابن سيده
٤٤. مستدرك الوسائل/للشيخ النوري
٤٥. مسند أبي يعلى
٤٦. مسند أحمد بن حنبل.
٤٧. مشكاة الأنوار/ للطبرسي.
٤٨. مطالب السئول/الشافعي
٤٩. معاني الأخبار/ للشيخ الصدوق.
٥٠. المعجم الأوسط/ للطبراني.
٥١. المعجم الكبير/ للطبراني.
٥٢. مفهوم التنمية/ د. نصر عارف، نسخة قرص المكتبة الشاملة -الإصدار الثالث.
٥٣. مقاتل الطالبين/الاصفهاني.
٥٤. مقاييس اللغة، ابن فارس.
٥٥. مقدمة ابن خلدون.
٥٦. مناقب آل أبي طالب/ ابن شهراشوب.

٥٧. مهج الدعوات/السيد ابن طاوس.
٥٨. الموسوعة الحرة/ نسخة قرص المكتبة الشاملة - الإصدار الثالث.
٥٩. الموسوعة العربية العالمية/ نسخة قرص المكتبة الشاملة- الإصدار الثالث.
٦٠. النهاية لابن الأثير.
٦١. نهج البلاغة/ تحقيق الصالح.
٦٢. نهج الحق/ للعلامة الحلي.
٦٣. النوادر/ للراوندي.
٦٤. نور الأبصار/الشبلنجي.
٦٥. وسائل الشيعة/ للحر العاملي.
٦٦. ينابيع المودة/ للقندوزي.

فهرس المحتويات